AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢١١٣) - السنة (٤٨) - صفر ١٤٣٩هـ / ١ نوفمبر ٢٠١٧م

سمو الأمير: مسيرتنا الوطنية تهددها أخطار خارجية جسيمة

أمين جمعية «علماء تركستان الشرقية»:

بلادنا تتحول إلى «أندلس» جديدة والمسلمون في صمت!

البيتكوين.. رؤية إسلامية

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

الإلحاد.. انحراف عقدي ودمار مجتمعي

@mugtama www.mugtama.com facebook.com/mugtama @mugtama

الكويت ٧٥٠ فلساً - السعودية ١٠ ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر ١٠ ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن ١,٧٥٠ دينار أردني - لبنان ٤٥٠٠ ليرة - المغرب ٢٣ درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3,5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

تبرع.. عن طريق الاستقطاع

بيت التمويل الكويتي
011140010577

بنك الكويت الوطني
1000314577

للتواصل: 24834414 - 94064060 - 94064061

جمعية التكافل
لرعاية السجناء

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢١١٣) - (السنة ٤٨)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م
جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى ١٤٢٧/٨/١٠هـ - ٢٠٠٦/٩/٣م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير
محمد سالم الراشد

سكرتير التحرير
جمال الشرقاوي

الإخراج الفني
مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة.
الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

التحرير
٢٢٥١٤١٨٠ - ٢٢٥١٩٥٣٩
٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٥ (٠٠٩٦٥)
sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

في هذا العدد

موضوع الغلاف

الإلحاد
انحراف عقدي ودمار مجتمعي

- سمو الأمير: مسيرتنا الوطنية تهددها أخطار خارجية جسيمة 6
- كويتيون وعرب: الغانم لقن الوفد الصهيوني درساً قاسياً ... 8
- صرخة من غوطة دمشق: لا نريد لقيمات أو دراهم..
- نريد موقفا سياسياً يكسر الحصار 33
- المغرب: رئيس الحكومة يقدم حصيلة 120يوماً وسط انتقادات 34
- عملية التجديد في «العدالة والتنمية» التركي 36
- د.عبدالخالق: تركستان الشرقية تتحول إلى «أندلس» جديدة 38
- ترتيبات رئاسة تونس تنطلق من ألمانيا 41
- اليهود بين أمة الإسلام والأمم الأخرى 44
- الحضارة.. كيف هيمنت حضارة الغرب على الشرق والغرب؟ ... 52

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات:
امتياز الإعلان: مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت: 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837
فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

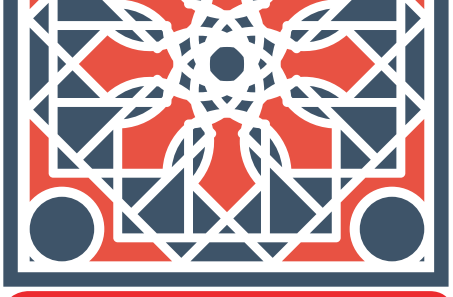

آية العدد

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَٰهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۖ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

(سورة المائدة)

ملفات خاصة عن

اقتصاد إسلامي - فكر وثقافة - تربوي - تراجم - استشارات أسرية

مقالات

لقاء من نوع آخر
سعد العتيبي 55

التقوى
د. يوسف السند 65

نحو حكومة برلمانية «تكنوقراط» مشتركة
محمد سالم الراشد 66

ادخل على موقع «المجتمع»

رأي المجتمع

١٠٠ عام على «وعد بلفور» المشؤوم.. والقادم أخطر

في ٢ نوفمبر ١٩١٧م أصدر وزير الخارجية البريطاني «آرثر جيمس بلفور» وعداً للورد «روتشيلد»، أحد زعماء الحركة الصهيونية في تلك الفترة، يقضي بتأييد الاحتلال البريطاني إنشاء «وطن قومي لليهود في فلسطين».

وعلى الرغم من أن نسبة اليهود في فلسطين المحتلة عام ١٩١٧م لم تكن تتجاوز الـ٥٪ فقط، فإن ذلك لم يمنع المحتل البريطاني من اقتراف أعظم جريمة عرفها التاريخ بحق شعب مسلم ما زال يعاني من ويلات وآثار تلك الجريمة النكراء، وبحق مقدسات إسلامية تعرضت في عهد الاحتلال الصهيوني إلى التدنيس والعبث والتغيير.

وبعد مرور مائة على عام على هذا الوعد المشؤوم، لا يبدو أن العدو التاريخي المتربص بالأمة الذي يريد تمزيقها واحتلال أراضيها ونهب ثرواتها قد زادته الأيام والسنون إلا كراهية وتآمراً على الأمة، وتصريحاً بدعمه وتحالفه مع ألد أعدائها.

فرداً على أصوات فلسطينية طالبتها بالاعتذار عن الجريمة الكبرى التي اقترفتها في حق الشعب الفلسطيني، ومطالبة الرئيس الفلسطيني محمود عباس في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠ سبتمبر الماضي باعتذار حكومة بريطانيا عن جريمة «وعد بلفور» بحق الشعب الفلسطيني، وأن يُتبع هذا الاعتذار الاعتراف بالدولة الفلسطينية كاملة السيادة على حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧م وعاصمتها القدس؛ أعلنت رئيسة الوزراء البريطانية «تيريزا ماي» أن بريطانيا ستحتفل بفخر بالذكرى المئوية لصدور «وعد بلفور»، الذي وضع قاعدة لتأسيس دولة «إسرائيل» في الأراضي الفلسطينية المنتزعة من أصحابها.

«ماي» وفي معرض ردها على الأسئلة خلال جلسة لمجلس العموم البريطاني الأربعاء ٢٥ أكتوبر ٢٠١٧م، قالت: «إننا نشعر بالفخر من الدور الذي مارسناه في إقامة دولة «إسرائيل»، ونحن بالتأكيد سنحتفل بهذه الذكرى المئوية بفخر».

لم يكن تصريح «ماي» مجرد رفض للاعتذار والاعتراف بالجريمة التاريخية الكبرى التي اقترفتها بحق الشعب الفلسطيني والأمة الإسلامية جمعاء فحسب، بل هو تأكيد على العلاقة الوثيقة التي تجمع بريطانيا مع الاحتلال الصهيوني، وكشف لحقيقة الموقف البريطاني الرسمي من القضية الفلسطينية.

كما يكشف ما يضمره أعداء الأمة لها من كراهية، وما يدبرون له من مؤامرات خطيرة تستهدف وجود الأمة ذاته.

ولعل ما تشهده بلاد الشام والعراق واليمن وليبيا من خطط ومؤامرات لتمزيق دولها وتحويلها إلى كيانات متناحرة ودويلات طائفية تلبي أطماع ومصالح الدول الاستعمارية خير شاهد على أن القادم ربما يكون أشد خطراً على الأمة من «وعد بلفور» واتفاقية «سايكس بيكو» المشؤومين، ولا منقذ لنا إلا توحدنا ونبذ التناحر الداخلي، أو فيما بين دولنا، وتلاحم الشعوب والحكام، وشحذ إمكانات الأمة؛ لنستطيع مواجهة التحديات الجسيمة القادمة.■

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

قطر :
مكتبة الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت: 725111 / ف: 723763
المغرب :
الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع: الدار البيضاء
ص.ب 13008 ـ الدار البيضاء الرئيسة
ت: 0021222249200 فاكس: 0021222249214
U.K : UNIVERSAL PRESS DISTRIBUTION
LTD. - 11 Power Road, London W4 5PY
Tel: 0181- 742 3344 Fax: 0181- 742 1280
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
.Tel: (90 -1) 5120190 - Fax. (90- 1) 5140883

سمو الأمير في افتتاح دور الانعقاد الثاني لمجلس الأمة:

مسيرتنا الوطنية تهددها أخطار خارجية جسيمة

كتب: سيف محمد - سعد النشوان

أكد صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح؛ أن الالتزام بالدستور في الكويت ثابت، والإيمان بالعمل البرلماني راسخ، قائلاً: «أنا من يحمي الدستور، ولن أسمح بالمساس به؛ فهو الضمان الأساسي بعد الله سبحانه وتعالى لأمن الوطن واستقراره».

جاء ذلك في نطقه السامي في افتتاح دور الانعقاد الثاني لمجلس الأمة الخامس عشر، ٢٤ أكتوبر ٢٠١٧م، بحضور سمو ولي العهد الشيخ نواف الأحمد، ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر المبارك، ورئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم، ونواب المجلس.

وأضاف سموه أن التطورات والتحديات الإقليمية جعلت من تصويب العمل البرلماني استحقاقاً وطنياً لتعزيز أهم مكتسباتنا الوطنية.

وتوجه لأبنائه أعضاء مجلس الأمة قائلاً: «واجبنا جميعاً وعلى وجه الخصوص أنتم في مجلس الأمة العمل على حماية وطننا من مخاطر الفتنة الطائفية، وتحصين مجتمعنا ضد هذا الوباء الذي يفتك بالشعوب حولنا، واجبنا جميعاً الحرص على وحدتنا الوطنية وصيانتها وتعزيزها، فهي عماد الجبهة الداخلية ودرعها الواقية وسورها الحامي».

وأكد سموه أن الأمن هو الأساس الذي تعتمد عليه وتنتظم حوله سائر الاهتمامات والخدمات، وإذا انعدم الأمن تتعطل الحياة العامة، داعياً الجميع إلى أن يكون أمن الكويت واستقرارها هو الهم الأول والشغل الشاغل للجميع، ولتكن وحدتنا الوطنية غايتنا الأولى وهدفنا الأعلى.

تصويب العمل البرلماني

وحول ضرورة تصويب مسار العمل البرلماني قال سموه: «أمام تطورات العصر وتحدياته، وإزاء ما أستشعره من قلق المواطنين تجاه حاضر وطنهم ومستقبله؛ أصبح تصويب مسار العمل البرلماني استحقاقاً وطنياً لا يحتمل التأجيل، وعليكم مسؤولية المبادرة لإجراء هذا التصويت من أجل صيانة وتعزيز أهم مكتسباتنا الوطنية».

وأكد في هذا السياق أهمية المراقبة المسؤولة والمساءلة الموضوعية والمحاسبة الجادة التي يحكمها الدستور والقانون وتفرضها المصلحة الوطنية، مضيفاً: «آن للممارسة النيابية أن تنضج، وآن للجميع أن يدركوا خطورة الأوضاع الراهنة سياسياً وأمنياً واقتصادياً، وأن ينعكس هذا الوعي على ممارساتهم قولاً وعملاً».

ودعا سموه إلى حتمية إصلاح الاقتصاد الوطني الذي يعاني اختلالات هيكلية صارخة، أولها الاعتماد على مورد طبيعي وحيد وناضب هو النفط، والأعباء والتداعيات التي تفرضها سوق النفط وتقلباتها ارتفاعاً وانخفاضاً رواجاً وكساداً.

وفي هذا السياق، أكد سموه أن يحقق برنامج الإصلاح الاقتصادي تنويع مصادر الدخل وتعزيز الإيرادات غير النفطية، وينصرف إلى تطوير العنصر البشري الكويتي تعليماً وتدريباً وتأهيلاً، ويستهدف ترشيداً حقيقياً جاداً للإنفاق العام، ومعالجة مواطن الهدر فيه، وتحسين كفاءة الأداء الحكومي لبناء مستقبل جديد واعد لكويتنا التي نتمناها، وأن نتعاون كلنا على بنائها وترسيخها ورفع قواعدها.

الأزمة الخليجية

ثم تطرق سموه إلى الأزمة الخليجية، حيث قال بكل صراحة ووضوح: «خلافاً لآمالنا وتمنياتنا؛ فإن الأزمة الخليجية تحمل في جنباتها احتمالات التطور، وعلينا جميعاً أن نكون على وعي كامل بمخاطر التصعيد بما يمثله من دعوة صريحة لتدخلات وصراعات إقليمية ودولية لها نتائج بالغة الضرر والدمار على أمن دول الخليج وشعوبها».

وأكد أن الهدف الأوحد لدولة الكويت من الوساطة الخليجية هو إصلاح ذات البين، وترميم البيت الخليجي «الذي هو بيتنا وحمايته من الانهيار»، مشيراً إلى أن وساطة الكويت ليست مجرد وساطة تقليدية يقوم بها طرف بين طرفين؛ بل طرف واحد مع شقيقين.

ولفت سموه إلى أن التاريخ وأجيال الخليج القادمة والعرب لن تغفر لكل من يسهم ولو بكلمة واحدة في تأجيج هذا الخلاف، أو يكون سبباً فيه، مشدداً على أن مجلس التعاون هو بارقة أمل وواعدة في ظلام العمل العربي والشمعة التي تضيء النفق الطويل ونموذج يجب أن يحتذى في التعاون.

وأكد سموه وجوب الالتزام بنهج التهدئة وتجنب التراشق سعياً إلى تجاوز هذه الأزمة، «فما يجمعنا أقوى مما يفرقنا، فلنتق الله في أوطاننا، ونسأل الله تعالى أن تهدأ النفوس؛ لأن مجلس التعاون قلعة راسخة وراية عز وأمان وازدهار».

وحذر من أن تصدع وانهيار مجلس التعاون هو تصدع وانهيار لآخر معاقل العمل العربي المشترك، ودعا إلى التزام نهج التهدئة وتجنب التراشق العبثي سعياً لاحتواء هذه الأزمة وتجاوزها بعون الله، مؤكداً أن ما يجمعنا أكبر وأقوى بكثير مما قد يفرقنا.

واختتم سموه قائلاً: «غايتي في هذه الدنيا ورسالتي في هذه الحياة أن أعمل ما استطعت إلى ذلك سبيلاً لرفعة الوطن الكريم وإسعاد أبنائي أهل الكويت»، داعياً إلى تجسيد التعاون المأمول بين المجلس والحكومة لفتح صفحة جديدة ترتقي لمستوى الآمال والطموحات التي يعلقها عليكم أهل الكويت وتتجاوز كل العثرات.

الغانم: وحدتنا الوطنية خط أحمر

وفي كلمته، قال رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم: علينا إيقاف الهدر وتطوير العمل المؤسسي والبنية التحتية والارتقاء بالخدمات، مضيفاً: رسالتنا إلى شعبنا الكريم أولاً وحدتنا الوطنية، وهي خط أحمر لا يجوز الاقتراب منه.

وأشار إلى أن نواب الأمة معنيون بالتعاون مع السلطة التنفيذية بما يخدم مصلحة المواطن.

كما أشار الغانم في كلمته إلى أن سمو الأمير لم تنسه هموم مجتمعه العربي وعالمه الإسلامي، فلم يغب عن نظره ما يحدث في سورية والعراق والروهنجيا وغيرها، وكذلك لم يفارق دائرة اهتمامه المسجد الأقصى السليب، ومسرى الرسول الحبيب، الذي حل من نفسه محل نبضه من قلبه.

المبارك: لا انتماء إلا للكويت

أما الشيخ جابر المبارك، رئيس مجلس الوزراء، فأكد أنه لا انتماء إلا للكويت، وهي وطننا ونتعاون جميعاً على بنائها.

وقال المبارك: التحديات المحيطة حولنا تطال الوطن العربي بأكمله، والكويت في قلبه، وقال مخاطباً الأمير: نعاهد الله ونعاهد سموكم على الحفاظ على الكويت وشعبها. وأشار إلى التطورات الإقليمية من حولنا، وما لها من انعكاسات على أمن البلاد تتطلب منا التماسك والتكاتف والعمل معاً على حماية وحدتنا الوطنية من مخاطر الفتن.

وقال: لا بديل عن التعاون الجاد بين المجلس والحكومة لتحقيق المصلحة العامة، مؤكداً أننا مستمرون في مواجهة مرحلة عصيبة ما يستوجب منا المزيد من الحكمة، وعازمون بصدق على استمرار التعاون البناء بين الحكومة والمجلس.■

Wisam

معارض الشايع للعطور
SINCE 1928 منذ
الكويت - السعودية - الإمارات - قطر
KUWAIT - SAUDI ARABIA - U.A.E. - QATAR
E-mail: afkar@afkar.com.kw - Website : www.alshayaperfumes.com
@alshayaperfumes

أمام الجمعية الـ١٣٧ للاتحاد البرلماني الدولي بسانت بطرسبورج الروسية..

كويتيون وعرب: مرزوق الغانم لقّن الوفد الصهيوني درساً قاسياً

المداخلة المدوّية لرئيس مجلس الأمة الكويتي مرزوق الغانم أمام الجمعية الـ١٣٧ للاتحاد البرلماني الدولي التي عقدت بمدينة سانت بطرسبورج الروسية يوم السادس عشر من أكتوبر الماضي، التي طالب فيها باتخاذ إجراءات حاسمة ضد الكيان الصهيوني بسبب الاستمرار في بناء جدار الفصل العنصري قد بلغت الآفاق، كما جدّد الدعوة إلى جميع أعضاء البرلمان الدولي لممارسة كلّ أنواع الضغط السياسي والأخلاقي على «الكنيست الإسرائيلي» الذي ينتهك المعاهدات والقرارات الدولية.

كتب: سعد النشوان

أكد مرزوق الغانم ضرورة رحيل الوفد الصهيوني المشارك في مؤتمر الاتحاد البرلماني الدولي، لا سيما بعد أن شاهد رد فعل برلمانات العالم إزاء ممارسات الاحتلال بحق الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة.

وقال الغانم مخاطباً الوفد الصهيوني: «عليك أيها المحتل الغاصب أن تحمل حقائبك وتخرج من القاعة بعد أن رأيت رد فعل برلمانات العالم».

وأضاف متوجهاً لرئيس الوفد: «اخرج من القاعة إن كان لديك ذرة من كرامة، يا محتل يا قتلة الأطفال»، متابعاً: «أقول للمحتل الغاصب: إن لم تستح فافعل ما شئت».

وجاءت ردود الفعل القوية بداية من الكويت، فقد بعث حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه، ببرقية تقدير إلى مرزوق الغانم، رئيس مجلس الأمة، جاء فيها: «تابعنا بكل الاهتمام والتقدير ردكم الحازم على رئيس وفد «الكنيست الإسرائيلي» وتصديكم له في الجلسة الختامية لمؤتمر الاتحاد البرلماني الدولي على خلفية موضوع النواب الفلسطينيين في السجون «الإسرائيلية»، ومطالبتكم للوفد «الإسرائيلي» بمغادرة القاعة».

وقال سموه متوافقاً مع ما طرحه الغانم: «نحن نشيد بهذا الموقف المشرف الذي كان محل تقدير ممثلي الدول العربية الشقيقة والدول الصديقة المحبة للسلام في هذا البرلمان الدولي الذي يجسد جلياً موقف دولة الكويت الداعم للأشقاء الفلسطينيين لاستعادة حقوقهم المشروعة ونصرة قضيتهم العادلة».

سمو الأمير: «رفعتوا روس إخوانكم بالكويت»:

واستقبل حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد، بقصر بيان، رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم، وأعضاء الشعبة البرلمانية المشاركين في الجمعية العامة الـ١٣٧ للاتحاد البرلماني الدولي، وقال سموه خلال اللقاء مخاطباً الوفد: «اللي رفعتوا روس إخوانكم بالكويت.. وأتمنى أنكم لا تنظروا إلى ما يكتب ويقول.. حتشوفون لما توصلون ماذا كتبوا لأنه حسد.. لذلك الحقيقة أنا شخصياً فخور».

ورد رئيس مجلس الأمة بالقول: «طويل العمر إذا تأذن لي بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن أختي وإخواني أعضاء الوفد طويل العمر.. إحنا اللي ممنونين ولم أجد من الكلمات حقيقة دعماً ومساندتك في كل مراحلنا ولعل ما حدث خلال هذه الزيارة.. يمكن شرحت لسموك تفاصيلها وخلفياتها ولما أتى البعض يشكك في موقف أنت طويل العمر ربيتنا عليه وإحنا دائماً نقول: نحن تلاميذ مدرستك وأبناؤك لتأتي رسالتك تحمل من المعاني الكثير لعلي أكرر يعني بوجود أختي وإخواني ما قلته لك قبل قليل.. إن هذه أغلى رسالة لي في حياتي لما تأتي من الكبير الحكيم في الوقت المناسب لتؤكد موقف بلد وأمة، وهذا أكبر وسام الواحد ممكن يحطه على صدره.. مو لي

سمو الأمير يقبل استقالة حكومة المبارك

أصدر حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح في ٣٠ أكتوبر الماضي أمراً أميرياً بقبول استقالة رئيس مجلس الوزراء سمو الشيخ جابر مبارك الحمد الصباح والوزراء.

ونص الأمر على: أمر أميري بقبول استقالة رئيس مجلس الوزراء، بعد الاطلاع على الدستور، وعلى الأمر الأميري الصادر بتاريخ ١ ربيع الأول ١٤٣٨هـ الموافق ٣٠ نوفمبر سنة ٢٠١٦م بتعيين الشيخ جابر مبارك الحمد الصباح رئيساً لمجلس الوزراء، وعلى المرسوم رقم (٣١٢ لسنة ٢٠١٦م) بتشكيل الوزارة وتعديلاته، وعلى كتاب الاستقالة المرفوع إلينا من سمو الشيخ جابر مبارك الحمد الصباح رئيس مجلس الوزراء، أمرنا بالآتي:

مادة أولى: تُقبل استقالة سمو الشيخ جابر مبارك الحمد الصباح رئيس مجلس الوزراء والوزراء ويستمر كل منهم في تصريف العاجل من شؤون منصبه لحين تشكيل الوزارة الجديدة.

مادة ثانية: يعمل بأمرنا هذا من تاريخ صدوره ويبلغ إلى مجلس الأمة وينشر في الجريدة الرسمية، حسب «وكالة الأنباء الكويتية» (كونا).■

شخصياً لكل للبرلمان الكويتي ولمجلس الأمة الكويتي.. لا يوجد شعب يملك حاكماً وأميراً يقدر وبحكمة مثل ما قمت به يا صاحب السمو.. فلك كل الشكر والتقدير والاحترام والامتنان.. وقلت لك: إن كانت كلمات لغة الضاد بما رحبت لن توفيك حقك يا طويل العمر.. ألف شكر على ما قمت به».

وقال سمو الأمير: «الأخ الرئيس تحية إكبار واحترام فعلاً يعني الإنسان يقول والحمد لله يعتز أن في رجال مثلكم يقفون مثل هذا الموقف أمام العالم كله».

إشادة واسعة

وأشاد نواب كويتيون وعرب بكلمة الغانم، ودشن رواد موقع التدوين المصغر «تويتر» وسماً بعنوان «مرزوق الغانم»، تصدر قائمة «الترينداتس» الأكثر تداولاً في الكويت.

كما أثنى المغردون على ما قام به مرزوق الغانم، مؤكدين أنه لقن الوفد الصهيوني درساً قاسياً، مشيرين إلى أن مثل هذه التصريحات عجز الكثيرون عن الإدلاء بها.

وقال وزير العدل د. فالح العزب: شكراً معالي الأخ مرزوق الغانم، رئيس مجلس الأمة الكويتي، وشكراً للوفد المرافق على موقف الحق ضد المحتل وضد قتلة الأطفال، ونتشرف اليوم باستقبالكم.

وقال عضو مجلس الأمة النائب أسامة الشاهين: موقف الكويت رسمياً وشعبياً يرفض الاحتلال ويناهض التطبيع، أحيي الزملاء في الشعبة البرلمانية - رئيساً وأعضاءً - على موقفهم المشرّف وتحركهم الجاد.

وقال عضو مجلس الأمة وعضو الشعبة البرلمانية محمد الدلال في تعليقه على كلمة الغانم: إن اليوم مشهد تاريخي إذ شهد انتفاضة عربية وإسلامية ضد الكيان الصهيوني الذي خسر جولة سياسية برلمانية تعكس حقيقة ممارساته الإجرامية، والكلمات التي قيلت من الوفود العربية بحق الانتهاكات «الإسرائيلية» مؤثرة وكبيرة التي أجبرت مندوب الكيان الصهيوني على الخروج من القاعة.

وأضاف: لا شك أن كلمة الرئيس الغانم الذي وصفهم بأنهم دولة إرهاب وإجرام ومتجاوزون للمواثيق الدولية، وتفاعل مع كلمته الكثير من الوفود العربية، أدت في النهاية إلى خروج الصهاينة من القاعة.

فيما وصف النائب عادل الدمخي كلمة الغانم: كلمات تمثل كل عربي مسلم شريف.

وأشاد السياسي الكويتي ناصر الدويلة، بموقف مرزوق الغانم، وقال في تغريدة له على «تويتر»: الأخ الرئيس مرزوق الغانم عبّر عن أصالة الشعب الكويتي رغم كل الضغوط من كل جانب، نحن لا نرغب بالتطبيع مع الكيان الصهيوني، وفلسطين قضيتنا الأولى.

وتابع الدويلة: الكويت بلاد العرب كانت وستبقى وفية للأمة وآمالها وتطلعاتها ونموذجاً للحرية والكرامة والتسامح والانفتاح، الكويت بلادي تشرفني مواقفها.

وقدم العم حمود الرومي، رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي، كلمة شكر بحق مرزوق الغانم، رئيس مجلس الأمة، وقال: إنه في ظل الخذلان والصمت المطبق نجد موقفاً أصيلاً من رئيس مجلس الأمة الكويتي مرزوق علي الغانم، فكل التقدير والشكر لك بوعلي، وهذا ما عهدناه منك في كل قضايا الأمة الإسلامية؛ سورية، فلسطين، الروهنجيا.

وقال رئيس البرلمان اللبناني نبيه بري: تحية تقدير لرئيس مجلس الأمة الكويتي مرزوق الغانم بكلامه عن الإرهاب «الإسرائيلي» وطرد الوفد «الإسرائيلي» من المؤتمر البرلماني الدولي.

هذا، وقد ثمنت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) موقف رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم خلال اجتماع الاتحاد البرلماني الدولي، وإنصافه للقضية الفلسطينية.

وقال عزت الرشق، القيادي في حركة «حماس»: إن رئيس مجلس الأمة الكويتي عبّر بقوة عن ضمير الأمة العربية والإسلامية في نظرتها للاحتلال وإرهابه، وأضاف: نحيي فيك موقفك الشجاع في طرد ممثل الاحتلال من الاتحاد البرلماني الدولي؛ إن موقفكم هذا إنما يعبّر عن أصالة الكويت أميراً وحكومة وشعباً.

وقال فوزي برهوم، المتحدث باسم «حماس» في تصريح صحفي: نثمن هذا الموقف العربي الأصيل والمحترم لرئيس مجلس الأمة الكويتي السيد مرزوق الغانم من وفد الاحتلال «الإسرائيلي» خلال اجتماع الاتحاد البرلماني الدولي.

وأضاف برهوم أن هذا الموقف يعكس أصالة هذه الأمة ونقاءها وحبها لفلسطين قضيتهم المركزية، وطالب بالمزيد من هذه المواقف التي وصفها بـ«الشجاعة والجريئة» في مواجهة التطبيع مع الاحتلال، وحشد طاقات الأمة لدعم عدالة القضية الفلسطينية وعزل الكيان الصهيوني.■

برعاية وزير التربية وزير التعليم العالي د. محمد الفارس..

جمعية الإصلاح تكرِّم العالمين الجليلين المذكور والنشمي

في لمسة وفاء، نظمت جمعية الإصلاح الاجتماعي، يوم ٩ أكتوبر ٢٠١٧م، برعاية وزير التربية وزير التعليم العالي د. محمد عبداللطيف الفارس حفل تكريم للشيخين الجليلين الأستاذ الدكتور الشيخ خالد مذكور المذكور، والأستاذ الدكتور الشيخ عجيل جاسم النشمي؛ وذلك بمناسبة تقاعدهما عن العمل بالتدريس في جامعة الكويت كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

• د. عجيل النشمي • د. خالد المذكور

كتب: المحرر المحلي

أناب راعي الحفل الذي أقيم على مسرح جمعية الإصلاح في منطقة الروضة مدير جامعة الكويت الأستاذ الدكتور حسين أحمد الأنصاري لحضور الحفل، وقد حضر الحفل رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي العم حمود الرومي، وأعضاء مجلس الإدارة، وأعضاء الجمعية، وعدد من المشايخ والعلماء، وعدد من نواب مجلس الأمة الحاليين والسابقين.

وبدأ الحفل بتلاوة آيات من القرآن الكريم، وفي كلمة لمدير جامعة الكويت د. حسين الأنصاري نقل تحيات وزير التربية وزير التعليم العالي المتواجد خارج الكويت في مهمة رسمية، وقال: إن هذه المبادرة لتحسب لجمعية الإصلاح الاجتماعي.

وأضاف أن الكلمات لا تسعفه بذكر مناقب العالمين الجليلين، وقد تقلد المحتفى بهما الكثير من المناصب الحكومية، وإنتاجهما العلمي كثير جداً، وأن هذا التكريم ما هو إلا تكريم لجامعة الكويت ولكلية الشريعة، وأن آثار الشيخين الجليلين واضحة على الخريجين في دولة الكويت والطلبة المبتعثين للدراسة في جامعة الكويت.

وفي كلمة ألقاها العم حمود الرومي، رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي، قال فيها: إن هذا الحفل امتثال لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»، وتعبير عن الوفاء للشيخين الجليلين.

وشكر الرومي وزير التربية وزير التعليم العالي على رعايته لهذا الحفل.

وألقى الداعية الشيخ أحمد القطان كلمة قال فيها: إن الشيخين منذ الثمانينيات من القرن الماضي وهما يخرّجان الطلاب في كلية الشريعة، وكلهم يعمرون ولا يدمرون، وشكر القطان سمو أمير البلاد حفظه الله ورعاه؛ لأن في الكويت بلداً يكرم العلماء، وقال: الحمد لله بلدنا بلد أمن وأمان.

وقال القطان: إن الإعلام في هذه الأيام جهاد، فإن نقل مثل هذا الحفل لهو رسالة للعالم بأن الكويت بلد يكرم العلم والعلماء، وأضاف القطان أن الشيخين الكريمين لديهما خصلتان يحبهما الله ورسوله، وهما الحلم والأناة، وقال: إن التكريم للشيخين ما هو إلا تكريم للكويت وشعبها.

وتابع: إن الثروة ليست بالرواتب ولا والرتب، ولكن الثروة أخ يدعو لك بالخير.

وخاطب الشيخ القطان الشيخين قائلاً: أبشرا فكل من تعلم ودرس على أيديكما فأجورهم في ميزان أعمالكما.

وتم عرض فيلم تسجيلي عن الشيخين الكريمين.

وفي كلمة للدكتور خالد المذكور شكر فيها جمعية الإصلاح الاجتماعي على هذا التكريم، وقال: إن التقاعد هو تقاعد عن العمل الإداري، وأضاف: أذكر عندما انتدبت للعمل في اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال الشريعة الإسلامية، سألني الشيخ جابر الأحمد الصباح، أمير البلاد الراحل، رحمه الله، عن التوفيق في العمل في الجامعة واللجنة، وقال لي: «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» ذكرني بهذه الآية، وبعد إخبار د. عبدالله شعيب، مدير الجامعة، قال لي: سوف نخفض جدولك.

وأوضح المذكور أن احتفاء جمعية الإصلاح بنا ما هو إلا احتفاء بكلية الشريعة التي يشرق نورها للناس كافة.

من جانبه، شكر د. عجيل النشمي الحضور الكريم، وقال: إن هذا التكريم هو عظة لنا وخاصة أننا بلغنا عمر السبعين.

وقال: إن كلمة التقاعد لها إيحاءات سلبية، ولكنها ليست موجودة عندنا، مضيفاً أنه في ديننا لا يوجد تقاعد وإنما هناك تقدم أو تأخر.

وفي ختام الحفل، قام مدير الجامعة ورئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح بتكريم الشيخين.■

الإلحاد..
انحراف عقدي ودمار مجتمعي

الإلحاد من الظواهر القديمة التي لوحظ انتشار مظاهرها حديثاً في المجتمع المسلم، خاصة لدى شريحة الشباب الذين يعاني كثير منهم من بعض الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تدفعهم لهذا الاتجاه دفعاً، فضلاً عن توافر وسائل انتشاره في ظل الطفرة التكنولوجية وثورة الاتصال التي جعلت كل شيء متاحاً ومباحاً.

لقد تعددت الأسباب الدافعة للإلحاد والبعد عن الدين، وهو ما يحتاج إلى تكاتف كل المؤسسات والهيئات في الأمة لمواجهته وإنقاذ الشباب من براثنه المدمرة؛ فخطره أكثر فتكاً من الأدواء التي تصيب الجسد؛ حيث يسهل علاجها بجرعة دواء أو دورة علاجية مكثفة، أما ما يصيب العقيدة والفكر فعلاجه أكثر تعقيداً وخطره أكثر تأثيراً على المجتمع والأمة.

وفي هذا الملف، تسعى «المجتمع» لدق ناقوس الخطر من خلال استعراض ظاهرة الإلحاد من حيث تعريفه واستعراض تاريخه واستقراء أبرز أسبابه وتشخيص مظاهر علاجه، مستنهضة المؤسسات الدينية للقيام بدورها المنوط بها وواجبها الذي ستُسأل عنه أمام الله تعالى، وذلك بتحررها من قيود أي سلطة عليها؛ حتى تستعيد ثقتها التي فُقدت كثيراً منها في أعين الشباب، فلجأ إلى ما كان فيه دماره وهلاكه.■

الإلحاد..

التعريف والتمويل وسبل المواجهة

حامد العطار

معنى الإلحاد في اللغة: يأتي الفعل «ألْحَدَ» بمعنى: مالَ، وعَدَلَ، ومارَى، وجادَلَ. وألحد في الحَرَم: تَرَكَ القَصْدَ فيما أُمِرَ به، ومن معاني «ألحد» أيضاً: أشْرَكَ باللّهِ، أو ظَلَمَ، أو احْتَكَرَ الطَّعامَ.

يُطلق الإلحاد في الوقت المعاصر على كل مذهب يؤدي في النهاية إلى إنكار الدين

«الدهرية» هي أصل كل مذاهب الإلحاد والمادية التي عرفتها البشرية

«التحالف الدولي للملاحدة» و«رابطة الملاحدة» و«مؤسسة ريتشارد دوكنز لدعم العقل والعلم» أبرز المؤسسات العالمية الراعية للإلحاد والملحدين

ابن تيمية: كل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يعطِ الإسلام حقه

من المواضع التي ورد فيها لفظ الإلحاد في القرآن:

١- (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾) (الأعراف)، ومعنى الإلحاد هنا: تحريف أسماء الله إلى المعاني الباطلة.

عن ابن عباس في قوله تعالى: (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) قال: إلحاد الملحدين؛ أن دعوا «اللات» في أسماء الله.

وعن مجاهد: اشتقوا «اللات» من الله، واشتقوا «العزى» من العزيز.

وقال قتادة: «يلحدون» يشركون.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الإلحاد: التكذيب.

٢- (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) (فصلت: ٤٠)، جاء في تفسير السعدي: الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب، بأي وجه كان؛ إما بإنكارها وجحودها، وتكذيب من جاء بها، وإما بتحريفها وتصريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات معان لها، ما أرادها الله منها.

فتوعّد تعالى من ألحد فيها بأنه لا يخفى عليه، بل هو مطلع على ظاهره وباطنه، وسيجازيه على إلحاده بما كان يعمل.

معنى الإلحاد في المفهوم المعاصر:

يُطلق الإلحاد في الوقت المعاصر على كل مذهب يؤدي في النهاية إلى إنكار الدين.

عبّر عن ذلك ملاحدة الغرب بقولهم: «لقد مات الله»، وعبّر عن ذلك ملاحدة العرب بقولهم: «لقد ماتت فكرة النبوة والأنبياء»، ومؤدى القولين واحد، فإنكار الإله، أو إنكار الرسل يساوي عدم وجود دين؛ ومن ثم لا يوجد بعث، ولا ثواب ولا عقاب.

ونعني بالإلحاد: الكفر بالله والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد، وظهور التكذيب بالبعث والجنة والنار وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط.

يقوم الإلحاد على المفاهيم التالية:

١- نشأ الكون تلقائياً نتيجة لأحداث عشوائية دون الحاجة إلى صانع.

٢- ظهرت الحياة ذاتياً من المادة، عن طريق قوانين الطبيعة.

٣- الفرق بين الحياة والموت فرق فيزيائي بحت، سيتوصل إليه العلم يوماً ما.

٤- الإنسان ليس سوى جسد مادي، يفنى تماماً بالموت.

٥- ليس هناك وجود لمفهوم الروح.

٦- ليس هناك حياة أخرى بعد الموت.

٧- ليس هناك حاجة إلى القول بوجود إله!

هل عَرَض القرآن للإلحاد بمفهومه المعاصر؟

نعم، لقد عرض القرآن لصور متعددة من الإلحاد:

١- الدهرية، قال تعالى: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) (الجاثية: ٢٤)، ويعرّف الشهرستاني أصحاب هذا المذهب: «إنهم أولئك الذين أنكروا خلق العالم والعناية الإلهية، ولم يسلّموا بما جاءت به الأديان الحقة، وقالوا بقدم الدهر، وإن المادة لا تفنى».

وجاء في «موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة» تعريفاً بالدهرية: «هي أصل كل مذاهب الإلحاد والمادية التي عرفتها البشرية، فهي مذهب كل من اعتقد في قدم الزمان والمادة والكون، وأنكر الألوهية والخلق والعناية والبعث والحساب، ويتوازى مع إنكار البعث والحساب عقيدة «تناسخ الأرواح» التي يعتقد أصحابها بأن أرواح البشر تنتقل من جسد كائن حي (إنسان أو حيوان) إلى جسد كائن حي آخر بعد موت الأول، فتشقى هذه الروح أو تسعد حسب ما اكتسبه الإنسان الذي كانت حاله في جسده إن خيراً فخير وإن شراً فشر».

٢- عرض القرآن لأولئك الذين سيقولون فيما بعد: إن الكون والإنسان خلقا من عدم؛ فقال تعالى: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾) (الطور)، فقوله تعالى: (مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ) أي من غير خالق، ومن غير سبب أوّل، وقوله تعالى: (أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) أي هل المخلوق - كوناً كان أو إنساناً - أوجد نفسه؟ وكل هذا قال به الملاحدة المعاصرون.

٣- تحدث القرآن عمن يؤمنون بوجود الإله الخالق، لكنه يرى أنه اعتزل الكون بعد أن وضع فيه القوانين والنواميس التي تسيره، فهم ينكرون متابعة الله كونه بالعناية والحفظ والتدبير والرزق، قال تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾) (العنكبوت)، قال ابن تيمية: «وهذا التوحيد هو من التوحيد الواجب، لكن لا يحصل به الواجب، ولا يخلص بمجرده عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر، الذي لا يغفره الله، بل لا بد أن يخلص لله الدين، فلا يعبد إلا إياه، فيكون دينه كله لله.

٤- وتحدث القرآن عمن يؤمنون بأن لهذا الكون خالقاً، وبأن هذا الخالق تابع كونه بالعناية والحفظ والرزق والتدبير، إلا أنه لم يُرسل إليهم رسلاً، وفي ذلك يقول القرآن: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾) (العنكبوت)، وهذا في ذاته إنكار للدين؛ لأنه يتضمن إنكار البعث والحساب، ومن ثم يصلون إلى إنكار التكاليف الدينية.

من يقف وراء الإلحاد؟

ثمة مؤسسات عالمية ترعى الإلحاد وترعى الملحدين، منها مثلاً «التحالف الدولي للملاحدة» ATHEIST ALLIANCE INTERNATIONAL، «رابطة الملاحدة»، «مؤسسة ريتشارد دوكنز لدعم العقل والعلم» (انظر: كيف يُستخدم مصطلح العقلانية والعلمية)، «الاتحاد الدولي للاتجاه الإنساني والأخلاقي»، «الرابطة الدولية لغير المتدينين والملحدين».

وبعض هذه المؤسسات تعطي مساعدات مالية كبيرة للمنتظم فيها حسب فاعليته (بتقسيم: مساعد، وثني، مستثمر، كافر، مرتد، متحمس، ممول، متحرر، داعم، عقلاني) تصل إلى ٣٥٠ دولاراً شهرياً، وهو مبلغ جيد في بعض الدول الفقيرة.

سبل مواجهة الإلحاد:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «كل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين».

نعم، لقد أصبح للإلحاد روافد تغذيه وتروج له، وأصبح يقدم على أنه «مذهب عقلي»، وعلى أنه «دين العقل»، فلا غرو أن احتاج الأمر إلى مُكنة ودربة في رد شبهاته، فلا يكفي للمتصدر لمواجهته أن يقرأ كتاباً قديماً في الرد على الإلحاد، ويتصور أنه صار متمكناً من دحر الإلحاد وتزييف منطلقاته.

فالمواجهة تحتاج إلى إعداد قوي، ودراسة متأنية، وعكوف على ما كتب في هذا الشأن من شبهات وردود حديثة، واطلاع جيد بالمناهج البحثية، وإلا أضر الإنسان أكثر مما ينفع، فالإلحاد يتغذى بالإجابات السخيفة والمتهافتة التي تقدمها بعض مدارس الخطاب الدعوي والوعظي.

كتب ينصح بها:

- «الإسلام يتحدى» لوحيد الدين خان.
- «صراع مع الملاحدة حتى العظم» لعبدالرحمن حسن حبنكة.
- «الإسلام بين الشرق والغرب» لعلي عزت بيجوفيتش.
- «خرافة الإلحاد» د. عمرو شريف.■

النهضة الحديثة.. والإلحاد

د. محمد أحمد عزب
أستاذ العقيدة المشارك
جامعة المدينة العالمية

ليس الإلحاد مكتشفاً عصرياً، وليس وليداً للعقلية المعاصرة التي صنعت القنابل وارتادت الفضاء، بل هو قديم ضارب في عصور سابقة، فالزنديق والدهري والملحد مصطلحات لمراد واحد في لغة العرب، وهو الذي لا يتمسك بشريعة، ولا يؤمن بالآخرة، ويقول بدوام الدهر[1].

واضح مما سبق المساحة التي في الإلحاد التي تجعل بعض النفوس تميل إليه، فإنه يوفر مساحة للشهوات والخوض في محرمات تحجرها الأديان على أصحابها؛ وهو ما يفسر وجود الإلحاد وانتشاره، حيث يكثر في أزمنة ضعف الأديان، أو شيوع اتهامها بأنها خرافة أو تناسب العامة، واتهام الأنبياء والمصلحين بالكذب.

كما أن اختلاف المصطلح بين القديم والحديث لا يعني أن القوم اليوم وقفوا على حقيقة كانت مجهولة، أو توصلوا لشيء لم يعرفه الأقدمون، بل هي سلسلة تتكون في كل جيل، وتوجد أحياناً في كل زمان، وقد قال الله في المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) (الجاثية: ٢٤) فما الإلحاد إلا هذا.

تتوارد الأخبار من شتى البقاع بناء على استبانات تقوم بها مراكز بحثية أن الإلحاد يتبوأ المركز الثالث بعد النصرانية والإسلام، في عدد المنتسبين له[2]، فكيف في عصر اكتشاف الإنسان ضآلة نفسه، واكتشاف الآيات في نفسه وفي الآفاق من حوله أن يتكاثر الرفاق حول ما يجب الفرار منه؟!

سلسلة الانهيار

حين درس القاضي عبدالجبار النصرانية، وأطال البحث فيها، وصل إلى نتيجة عبّر عنها بقوله: «إن الروم ما تنصرت ولا أجابت المسيح، بل النصارى ترومت وارتدّت عن دين المسيح، وعطّلت أصوله وفروعه، وصارت إلى ديانات أعدائه»[3].

لقد عرفت أوروبا مسخاً لا صلة له بدين الله تعالى على يد «شاول الطرسوسي»، الذي أفسد النصرانية بإدخال عادات الأوروبيين وتصوراتهم عن الحياة وعن الذات الإلهية إلى النصرانية، فصارت النصرانية مجموعاً من الوثنيات والتشريعات الرومانية وغيرها.

أتت على النصرانية عوادي الزمن، فتحكّم رجال الدين والسلطة في شأن العامة والمجتمع، وصارت تصرفات الكنيسة على المستوى الديني والعلمي ضرباً من الشذوذ والنشاز، فأصدرت صكوكاً لغفران الذنوب، وجعلت دراسة الكتاب المقدس حكراً على القسس ومن تختار من غيرهم، ثم انتقم رجال الدين بأسوأ صور الانتقام من بعض العلماء الذين خرجوا على تفسيراتهم للظواهر الكونية في علاقة الأرض بالكون، فأحرقت جثث بعضهم وأحرقت آخرين أحياء، ونفت آخرين عن ديارهم.

من هنا «أصبح عداء الدين المتمثل في الكنيسة ورجالها أمراً لازماً؛ لأن هذا العداء هو أبسط تعبير عن الثورة ضد الذل والمهانة التي تفرضها

مساحة الشهوات والخوض في محرمات تحجرها الأديان أحد أسباب انتشار الإلحاد

الإلحاد يتبوأ المركز الثالث بعد النصرانية والإسلام في عدد المنتسبين له

الكنيسة على الكرامة الإنسانية، كما تفرضها على العقل الذي خلقه الله ليفكر لا ليمتهن»[٤].

انبعاث موجة الإلحاد

انطلقت الثورة في أوروبا تحمل شعاراً هو «لن يتحرر الناس إطلاقاً إلا أن يشنق آخر ملك بأمعاء ومصارين آخر قسيس»[٥]، انبعث العقل الأوروبي من ثباته، وأصبح أكثر جرأة وأكثر تحرراً، فحدثت اكتشافات علمية مبهجة، وانطبع في ذهن المواطن الأوروبي أن الدين كان العائق الأكبر أمام النهضة.

وتوالى ظهور المفكرين الأوروبيين الذين خاضوا في مسائل عديدة دارت كلها حول إقصاء الدين أو اعتباره مرحلة زمنية وسقطت، فظهر «ماركس» بمقولته المشهورة: «الدين أفيون الشعوب»، وجاءت العلمانية تتخذ من فصل الدين عن الحياة والدولة شعاراً لها، لقد ظهر كل فلاسفة عصر النهضة الأوروبية محملين بالفكر الإلحادي داعين إليه ممارسين له مثل «هيوم»، «أوجست كونت»، «فويرباخ»، «جون ديوي»، «برتراند راسل»، «كارل ماركس»، «فرويد»..

وأصبح بعضهم يستبعد مفاهيم الدين والغيب من مجال البحث العلمي، بل أصبح الدين عندهم عنواناً على الخرافة، وما هو والوحي إلا وهم أو خداع، والواقع عنده هو مصدر المعرفة اليقينية.

وفي وسط هذا، استغل اليهود الأمر، ووظفوا تلك الأحداث «التي هيأتها لهم حماقة الكنيسة، فنفذوا كل ما في جعبتهم من مخططات الإفساد في الأرض، ونشر الإلحاد الذي هو هدف أساسي من أهدافهم»[٦]، وقد جاء في بروتوكولات حكماء صهيون: «يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، حتّى لو كانت النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار ملحدين»[٧].

بدأت موجات الإلحاد تعم المجتمع الأوروبي، وكان الإلحاد متجاوراً مع نهضة شاملة عمّت أوروبا، خاصة وقد هيأت له الحياة الجديدة صوراً من الملاذ وإشباع الشهوات كان الدين حائلاً بينها وبينه، فضلاً عن تخلّصه من سلطة رجال الدين، ومشاركته في صناعة القرار بجوار السلطات التي يختارها.

العالم الإسلامي

كانت عوامل الوهن والضعف قد دبت في العالم الإسلامي، وعجز عن مجاراة الحضارة الأوروبية، فجاء من بث في جنباته أن احتذاء السلوك الأوروبي في إزاحة الدين وعدم التدين به هو طريق الخلاص[٨].

مع بدء البعثات العربية لأوروبا، بدأت موجات الإلحاد وتبني الأفكار الغربية تحط رحالها في ديار المسلمين، وبدأت الأفكار الأوروبية المنابذة للدين تجد صداها في العالم العربي على طول امتداده، عزز من هذا الفجوة التي حدثت بين العالم العربي والإسلامي والنهضة الأوروبية المنبعثة كالفرس الجامح، كما كان الاستعمار الأوروبي الذي طوق العالم الإسلامي قد مكّن لأذنابه لاقتياد المجتمعات الإسلامية، ووضعهم في مراكز التوجيه، وهنا ننتقل إلى مسألة كانت مؤسسة للإلحاد ومزعزعة للدين.

في أواخر القرن السابع الهجري نزلت حملة «لويس التاسع» على مصر، وفشلت حملته فشلاً ذريعاً، وأيقن «لويس» وهو في أسره أن «المعالنة بالقضاء على الإسلام خطأ، ويوصي قومه باستبطان ذلك وإظهار غيره»[٩]، وبدأت خطته في برنامج سار به المستعمرون من خارج ديار الإسلام، حيث بدأ بعد حين العبث بمناهج التعليم، وتقسيمه إلى مدني وديني، ثم نزع الدين منه نزعاً و«يكاد التعليم الثانوي والجامعي أن يقفر كل الإقفار من المعرفة الإسلامية النافعة، وقد نشأ عن ذلك أن قادة المسلمين – وجملتهم من هؤلاء – يحيون مقطوعي الصلات بدينهم، بل قد يضيقون به ويعملون ضده»[١٠]، ثم تسرب البلاء للغة القرآن فتم إقصاؤها، وصارت لغة المحتل هي لغة العلوم والتخاطب أحياناً، والمقصود بعد موت اللغة العربية – لا قدر الله – أن يوضع القرآن في المتاحف.

من هنا كان العبث بطال المناهج الدراسية بخطط المحتل، حتى نشأ من قال فيهم «زويمر»: إنكم أعددتم نَشْئاً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي فقد جاء النشء طبقاً لما أراده الاستعمار لا يهتمُّ بعظائم الأمور، ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلم فللشهرة، وإذا تبوّأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهرة يجود بكل شيء.

لقد أسهمت المناهج التعليمية، وموجات الإعلام العاتية، وتصدر المثقفين الذين استنبتهم الغرب على عينه في تحويل مسار الأمة، حتى بدأت تيارات الإلحاد تتسرب داخل المجتمعات العربية والإسلامية، وتربى في حس بعضهم أن الإسلام سبب من أسباب التخلف، وموطن من مواطن البلاء، وهو الذي قال في دستوره للناس: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾) (الذاريات).■

بعد النهضة الأوروبية انطبع في ذهن المواطن الأوروبي أن الدين كان العائق الأكبر أمامها

مع بدء البعثات العربية لأوروبا بدأت موجات الإلحاد وتبني الأفكار الغربية تحط رحالها في ديار المسلمين

بعد فشل حملة «لويس التاسع» على مصر اتجه إلى العبث بمناهج التعليم حتى تسرب ذلك للغة القرآن

الهوامش

(١) تهذيب اللغة، وتاج العروس، والمطلع، والمغرب، مادة «زندق».
(2) https://www.alarabiya.net/articles /2012/12/255962/19.html
(٣) تثبيت دلائل النبوة، ص ١٦٨.
(٤) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص ٧٤.
(٥) قصة الفلسفة، ول ديورانت، ص ٢٨٩.
(٦) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب.
(٧) البروتوكول الرابع عشر.
(٨) انظر: مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، ص٣٩.
(٩) ظلام من الغرب، ص ١١٧.
(١٠) المرجع السابق، ص ١١٨.

يعيش العالم العربي خاصة والإسلامي عامة حالة من الانفلات اللفظي وانهيار في الأخلاق التي ظل الآباء والأجداد يفرسون بذورها في نفوس الأبناء جيلاً بعد جيل؛ حتى تظل المجتمعات قوية لا يعتريها الوهن والخنوع، ويسيطر عليها اتباع الغرب في كل تصرفاته، حتى أصبحنا إمعة لا تقر قلوبنا معروفاً ولا تنكر منكراً، حتى تجلى ذلك فيما نقوله بيننا، ويوضح الوضع الذي آلت إليه مجتمعاتنا وشبابنا بعد انتكاسة ثورات «الربيع العربي»، فحل التميع بعد الانضباط والالتزام، وزادت موجات الإلحاد بين صفوف شبابنا، وتحطمت ثوابت التربية على صخور الفاحش من القول.

الإلحاد القولي..

الأسباب والعلاج

عبده مصطفى دسوقي
باحث مصري

كل هذا يدفعنا للوقوف حول هذه الظاهرة التي استشرت وزادت حتى أصبحت بركاناً يثور من تحتنا يكاد يطمس معالم الأرض التي تعلوه، وينفث ما فيه من خبث القول والأفعال.

بالكلمة رفع الله أقواماً، وحط آخرين، بها عُدّل من عُدّل، وبها جُرحَ مَنْ جُرح، فلها ثقلها في الإسلام، ولها خَطَب جسيم؛ فبالكلمة يدخل العبد في الإسلام، وبها يخرج، وبها يفرّق بين الحلال والحرام، وبها تحرم، وبها يجلد القاذف، وبها ينصر المظلوم، ويقتص من الظالم، وبها يُؤمر بالمعروف، ويُنْهى عن المنكر.

قال تعالى: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾) (إبراهيم)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال: «إن العبد ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سَخط الله، لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم» (البخاري، ٦٤٧٧)، ولهذا كانت خطورة الكلمة التي تتجسد أمامنا وتتعرى لتخرج لنا شر ما فيها.

بالكلمة يدخل العبد في الإسلام وبها يخرج وبها يفرق بين الحلال والحرام

غاب المربون فتحول السعار اللفظي إلى أمر واقعي يدفع بأفراده لجنبات الإلحاد

مواقع التواصل الاجتماعي هي الوسائل الإعلامية الأكثر تداولاً بين الملحدين العرب

من الواقع الحقيقي إلى الافتراضي:

مع الانتشار الفضائي – أو ما يمكن أن نطلق عليه الواقع الافتراضي – صرنا نستجير بالأخلاق لتنقذنا من حالة الانفلات اللفظي والحركي الذي نعيشه، كلمات كثيرة تسللت إلى البيوت عن طريق المسلسلات والبرامج وغيرها، حتى إن الكلمة قبل أن يتم تداولها لا تأخذ ضوءاً أخضر من أي عرف أو مرجعية لكنها تفرض نفسها عنوة في الحياة.

لقد وجدنا من يسعى إلى الإسراف في الألفاظ حتى صارت مثل مزاد علني، كل يريد زيادة الجرعة لكي يلفت إليه الانتباه، فسمعنا وشاهدنا على وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة وشبكات التواصل الاجتماعي حتى أصبحت الفتن تحيط بالأمة كقطع الليل المظلم؛ يصبح الحليم فيها حيران، ويصبح فيها الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويصبح الرجل كافراً ويمسي مؤمناً، يبيع دينه بعرض من الدنيا، كما قال ﷺ.

وحينما غاب المربون وأصحاب الهمم العالية تحول السعار اللفظي لأمر واقعي يدفع بأفراده لجنبات الإلحاد فتتملكه، حتى صار الإلحاد أمراً طبيعياً يتباهى به الجميع على الملأ، ونقيم الحفلات لأنصار الشذوذ ولا حرج، ونسخر من العلماء والدين دون حياء.

حالة من الانفلات اللفظي وصفها الناقد طارق الشناوي بقوله: «اقتحمت ولا تزال بيوتنا، ولن تتوقف بمجرد أن تتدخل الرقابة بالمنع، ولكن أولاً بتهذيب لغة الخطاب في الشارع، فهل نبدأ بأنفسنا؟».

وتعتبر وسائل التواصل الاجتماعي – مثل «فيسبوك»، «تويتر»، «يوتيوب»، المدونات – هي الوسائل الإعلامية الأكثر تداولاً بين الملحدين العرب، لأسباب عدة ربما من أهمها أنها تتيح للمستخدم خيار عدم الكشف عن تفاصيل هويته.

أسباب الإلحاد اللفظي:

المتابع للمشهد يدرك الأسباب التي تدفع إلى الانفلات

اللفظي الذي يستعر أواره حتى ينتج عنه نوع يمكن أن نطلق عليه «الإلحاد اللفظي أو القولي»، ومن هذه الأسباب المؤدية إلى ذلك: الشهوانية والانفلات من القيود والتحرر من الالتزامات الدينية والأخلاقية، زد على ذلك انتشار المحسوبية وغياب العدالة الاجتماعية وانتشار البطالة وغياب القدوة والرقيب، والفشل السياسي والاقتصادي والانفلات الأمني وغياب العدالة.

فأكثر الملحدين يحملون مشاعر سخط على الله (حاشاه سبحانه) أكثر من مشاعر الإنكار، ومن الأسباب التي دفعتهم لذلك رد الفعل من سلوك بعض المنتسبين للدين وتسلطهم وقمعهم، وتقليد الشباب الأعمى للأقوى، ومحاولتهم تكميل النقص والعصرنة، بالإضافة للتناقضات العقلية أو المشكلات الفلسفية والشبهات، وانتشار مناخ عام يُحِث على الكراهية والتحريض، من خلال خطاب ديني يبتعد عن الوسطية والاعتدال، ووجود صدامات سياسية وفقهية بين أنصار التيار السياسي/ الديني، هذا بخلاف الكبر والعناد الذي تكون نتيجته هذا المنزلق الخطير.

على درب العلاج:

إن ظاهرة الإلحاد التي غزت وتمكنت من قلوب شباب أمتنا التي يعود بعضها إلى البعد عن ثواب الدين والأخلاق والانفلات اللفظي الذي يشيع روح الابتذال وسط الناس سواء كان في الوسائل التي يشاهدها الناس من أناس اتخذوهم قدوة زائفة أو في الشوارع؛ وهو ما أحدث فراغاً وجدانياً وروحياً في قلوبهم، ومن ثم لا بد من إطلاق الصرخات المدوية لتعديل مسار الأمة والرجوع لطريقها الحقيقي.

وبين يدي علاج الانفلات اللفظي والتصدي للإلحاد لا بد من سلوك عدة مسارات (سواء على المستوى الفردي أو المجتمعي أو على مستوى الدولة):

أولاً: على المستوى الفردي:

هناك بعض الأمور العلاجية التي يجب على كل فرد أن يراعيها حتى لا تزل قدمه دون أن يدري:

١- على كل فرد تحصّن بالأخلاق وتسلّح بالإيمان ألا يغفل قاعدة «أصلح نفسك وادعُ غيرك».

٢- عليه أن يجتهد في سلوك مسلك الرجال والتحلي بأخلاق العظماء.

٣- عليه أن يبحث عما يشغل أوقاته ولا يستنزفها بين صفحات مواقع التواصل الاجتماعي.

٤- يحرص على إعلاء قيمة الدين والأخلاق في قلوب أبناء المجتمعات الإسلامية.

ثانياً: على المستوى المجتمعي:

أما على المستوى المجتمعي، فالمسؤولية أكبر والأدوار المنوطة أعظم، منها:

١- إطلاق العنان لعلماء ودعاة الأمة المشهود لهم بالتقوى وحسن الخلق لتربية أفراد المجتمع.

٢- بذر بذور الأخلاق الطيبة في نفوس الأفراد وتعهدها لكي تخرج ثماراً طيبة يشعر بها الناس وبمذاقها الحلو الجميل.

٣- إيجاد القدوة الحسنة التي تستطيع جذب الجميع على مائدة القرآن.

٤- استخدام منابر وسائل التواصل الاجتماعي في إظهار قيم وآداب الدين الإسلامي.

٥- عقد المؤتمرات والندوات واستقطاب العلماء.

٦- شغل أوقات الشباب بما يعود عليهم بالمفيد.

ثالثاً: دور الدولة:

أما على المستوى الرسمي والحكومي، فهناك أدوار لا تقل أهمية عن سابقتها؛ مثل:

١- حجب كل مصادر الانفلات اللفظي والإلحاد عن الناس وحجب أخبارهم وإهمال أعمالهم وتصرفاتهم.

٢- استخدام وسائل الإعلام في تقديم أعمال هادفة ونماذج من الأجيال التي حملت وعملت لهذا الدين بصدق وبطريقة محببة للناس.

٣- عقد المناظرات مع الملحدين وإظهار باطل حجتهم، فإن لم يعودوا وظلوا على غيّهم فهي وِجاء لمن يفكر ويضعف أمام مغريات الملحدين.

٤- التشديد الأمني لردع المنفلتين لفظياً الساعين للإلحاد وجدانياً.

٥ - تحقيق العدالة والعدل وسط الناس وإطلاق الحريات دون المساس بحريات الآخرين.■

من الأسباب المؤدية للإلحاد اللفظي الشهوانية والانفلات من القيود والتحرر من الالتزامات الدينية والأخلاقية

يجب إطلاق العنان للعلماء والدعاة لتربية أفراد المجتمع

«الإلحاد» في الأدب..
نماذج من الرواية العربية

يختلف المنظور العلماني للإلحاد عن المنظور القديم للكفر أو إنكار وجود الله، فالملحدون في العصر الحديث يرون أن فكرة الله اخترعها الإنسان القديم من أجل مواجهة الخوف من قوى الطبيعة الهائلة؛ فالإنسان البدائي غير القادر على إدراك وفهم الظواهر الطبيعية التي كان يعاني من طغيانها، وأن كل ظهور مرعب لها هو نوع من القوى الشريرة الموجّهة ضدّه.

د. مصطفى جمعة

في الإسلام يتناغم الإيمان مع العلم ولا يتصارع مع قوى الطبيعة بل يسعى للاستفادة منها

رسالة «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ أن الأنبياء كانوا في أحسن تقدير عباقرة في الإصلاح الاجتماعي

رواية «إلحاد» ناقشت قضية الإلحاد بشكل موضوعي حيث عرض مسببات الإلحاد وتاريخه منذ القدم

اخترع الدين لإشباع تلك المشاعر عبر التبشير بالجنات العلا لمن خاف الله، والتحذير من نار جهنم لمن عصاه؛ لذا يرى الملحدون في العصر الحديث أن العلم تكفل بمواجهة قوى الطبيعة التي يخشاها الإنسان، ويمكن للعلم الإجابة عن أي أسئلة، ليضعوا بذلك العلم في مواجهة مع الله سبحانه وتعالى[1]، والبعض منهم عدّ العلم امتداداً للدين أو بالأدق وريثاً له، وتبنت تلك الرؤية الفلسفاتُ المادية مثل الماركسية والأناركية (الفوضوية) التي هي من نواتج التراث العلماني الغربي في صراعه مع الكنيسة.

وهذا لم يحدث في العالم الإسلامي، فالإسلام دين يحض على العلم، ويدفع المرء للبحث في ملكوت الله، فيزداد إيماناً بعظمة الخالق سبحانه، فيتناغم الإيمان مع العلم، ولا يتصارع مع قوى الطبيعة، بل هو يسعى للاستفادة منها، والحفاظ عليها؛ لأن الله سخرها للبشر، فالعلم في المنظور الإسلامي كاشفٌ لإعجاز الله في كونه، ومعلوم أن المنهج التجريبي هو من ابتكار علماء المسلمين، على حد ما ذكرته المستشرقة الألمانية «نولدكة» في كتابها «شمس الإسلام تسطع على أوروبا».

ولكن - للأسف - تأثر الأدباء في الشرق الإسلامي بالفلسفات المادية، وصاغوها بأشكال مختلفة في إبداعاتهم التي وجدت احتفاءً من الغرب، وتلقياً وثناءً من المتغربين في الشرق.

من «أولاد حارتنا» إلى «أعشاب البحر»:

نجد الإلحاد موضوعاً لعدد من الروايات العربية المعاصرة، منطلقة من التوجه العلماني، بحكم تبني مؤلفيها للفلسفات المادية خاصة الماركسية، على نحو ما نجد في رواية نجيب محفوظ «أولاد حارتنا» (القاهرة عام ١٩٥٧م)، التي اتكأت على الرمزية في بنائها، من خلال شخصية الجبلاوي، الذي كان يعيش في جبل، بعيداً عن الحارة، ويرسل رجالاً تابعين له لأهل الحارة لنشر العدل والمساواة بين أهلها، ومن أسماء هؤلاء الرجال/ الرسل؛ نجد تقارباً مع شخصيات الأنبياء فـ«أدهم» هو آدم، و«جبل» هو موسى كليم الله، و«قاسم» هو محمد عليه الصلاة والسلام.

فلا يمكن بأي حال تغييب الرمزية الدينية، وقد عرف أهل الحارة من خلال شخصية واحد منهم، وهو الثائر (الأحمر الماركسي) أن الجبلاوي قد مات وتعفن في مكمنه، وأن الوريث الوحيد لرجاله - ناشري العدل - هم العلماء والثوار، لتكون رسالة الرواية أن الأنبياء كانوا - في أحسن تقدير - عباقرة في الإصلاح الاجتماعي[2].

وهناك أيضاً الرواية المثيرة للجدل «وليمة لأعشاب البحر» (لبنان عام ١٩٨٣م) للروائي السوري حيدر حيدر، الذي قسّم روايته إلى أربعة فصول حملت عناوين مقاربة لفصول السنة الأربعة، وجاء عدد صفحاتها ٣٦٥ صفحة بعدد أيام السنة، وكأنه يقول لنا: إنها رواية سنة من سنوات الحياة.

وتتناول أحداث الرواية لقاءً تمّ بين مناضلَيْن شيوعيين، وهما: مهدي جواد، ومهيار الباهلي، وقد أملا في الاستقرار عندما رحلا إلى الجزائر في سنوات الستينيات، ولكنهما شعرا أن الثورة الجزائرية تم اختطافها من قبل الانتهازيين، مثلما حدث في العراق.

وتكمن المشكلة في الرواية في تلك الآراء الصريحة المهاجمة للإسلام، التي وردت بعبارات لا يمكن ذكرها، تستهزئ

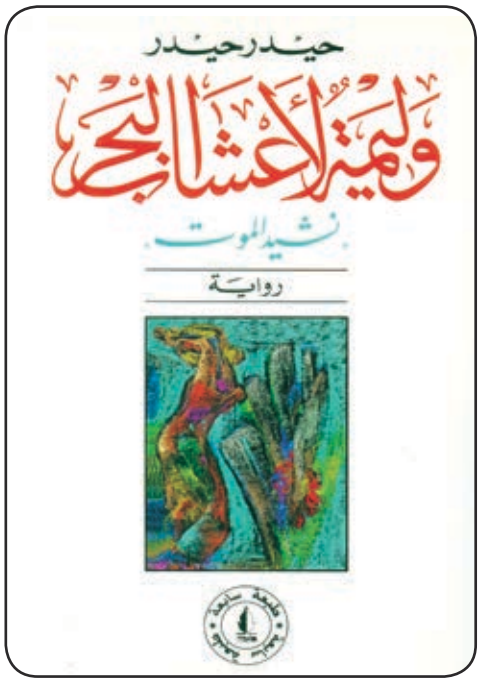

بالقرآن، ولا يدري قائلها الفرق بين الآية والحديث، وتحمل إنكاراً واضحاً للذات الإلهية، وقدرتها على التغيير، وقد ذكرها المؤلف بشكل مباشر على لسان شخصياته في الرواية، وكأنه يوجه خطاباً دعائياً للفكر الماركسي المهاجم للدين، والذي لا يدرك مفهوم الله سبحانه وتعالى وتوحيده في الإسلام، عن غيره من الأديان السماوية المحرفة والأساطير المتوارثة، والأديان الأرضية.

علاء حامد.. وجنة اللذة:

وتأتي رواية «مسافة في عقل رجل» للروائي المصري علاء حامد (القاهرة عام ١٩٨٨م) كنموذج واضح على إنكار كل ما هو غيبي بدءاً من الخالق سبحانه وتعالى، ثم الجنة والنار والملائكة والرسل والأنبياء.

تبدأ الأحداث برحلة المؤلف المتخيلة إلى الجنة، حيث يكتشف أنها جنة اللذة الحسية، فيلتقي بآدم ساخراً منه ومن خطيئته، ويأخذ موسى فيضرب

«وليمة لأعشاب البحر» حملت عبارات تستهزئ بالقرآن وتنكر الذات الإلهية وقدرتها على التغيير

رواية «مسافة في عقل رجل» رحلة متخيلة إلى الجنة وتحمل سخريات متعددة من الأنبياء ومعجزاتهم

بها الجدول، وهو يقول «جلا جلا جلا» كالحواة، فلا الماء ينشق ولا العصا تلد حية ولا حتى سحلية، ويقابل نوح الذي جلس أمام حوض من الماء وقد صنع سفينة من الورق وراح يلعب بها في الماء، ويقر المؤلف بأسلوب أبعد عن فنية السرد الروائي، وأقرب للطابع المقالي الخطابي بأن الكفر بما هو غيبي هو المستقبل، فالإيمان بالعلم والعلم وحده.

وأخيراً تأتي رواية «إلحاد» للروائي نور الدين علي سليمان (عام ٢٠١٧م) لتناقش قضية الإلحاد بشكل موضوعي إلى حد كبير، حيث يعرض مسببات الإلحاد، وتاريخه منذ القدم، من خلال شخصية «عمار» الطالب بكلية الطب، والذي أصيب بأزمة نفسية، دفعته للشك في عدل الله سبحانه، بل والشك في وجوده - هو - كإنسان، ويشاء القدر أن يقابل عمار من يدفعه للبحث عن الحقيقة، منذ نشأة الكون، وتطوره وكيف انتهى إلى ما هو عليه.

وعرض عبر فصول الرواية للفلسفات والنظريات التي رددها الملحدون على مر العصور، وبما بدؤوا وكيف انتهوا، كما ناقش نظرية التطور لداروين الذي رفض فكرة التطور العشوائي وأقر بأن هناك تطوراً موجهاً، كما أن علاقة «عمار» مع دكتور جامعي تعرض لعدة هزات نفسية، أدت به إلى إنكار وجود الله، وأن هذا الكون لا يحتاج إلى إله وكيف قادته الأحداث إلى الإيمان بالله وعظمته وقدرته.

يمكن القول: إن تناول الإلحاد في الأعمال الأدبية جاء من خلال كتّاب متأثرين أو مشبعين بالفكر الماركسي المنكر للأديان عامة، ومن خلال قراءتهم للتراث العلماني الغربي المضاد للدين، الذي يضع العلم معادياً للدين، وفي الوقت نفسه، فإننا نجد حالة من الجهل الشديد بالإسلام؛ عقيدة وشريعة، وكيف أن به من المبادئ والتوجيهات ما يكفي لنشر السعادة والمساواة والعدالة، شريطة أن يوجد من يحملها.

أيضاً؛ فإن هؤلاء المؤلفين بوضعهم العلم مقابل الدين، يجهلون ما توصلت إليه منجزات العلم في عصرنا، التي أثبتت أن الكون له بداية ونهاية أي أنه مخلوق، إذن فهناك خالق، وبالتالي ليس أزلياً أبدياً؛ مما يسقط المادية الجدلية التي تفترض ثبات المادة والكون، كما أن هناك آلاف البحوث العلمية التي أثبتت علمياً أن الكون به قوة هائلة خلقته وتحرّكه وتقوم على تنظيم شؤونه، بتنظيم مذهل ومعجز، ناهيك عما توصل إليه باحثو الإعجاز العلمي في القرآن؛ فلكياً، جغرافياً، تاريخياً، طبياً.. إلخ.■

الهامشان

(١) فلسفة الإلحاد، إيما غولدمان، ترجمة: إبراهيم جركس، الحوار المتمدن - العدد: ٢٩٥٨، ٢٠١٠/٣/٢٨.

(٢) الإسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ، د. محمد حسن عبدالله، دار قباء للنشر، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٢٤٤.

التدين والإلحاد في استطلاعات الرأي

تتضمن بعض أسئلة استطلاعات الرأي في المشاريع العالمية الاجتماعية ما يتعلق بالإلحاد والتدين والسؤال عن الصلاة والله جل وعلا وغيرها من الغيبيات والمعتقدات، وتتنوع صيغ الأسئلة وتختلف النتائج وما ينبثق عن ذلك من إشكاليات فهمها وتأثيرها وطرق التعامل معها.

د. سامر أبو رمان

لقياس التدين وما يقابله من إلحاد غايات متنوعة قد تجمع الضدين من الطرف المتدين أو الملحد أو بينهما لغايات بحثية علمية في فهم المجتمعات ومعتقداتها، ويعد هذا المجال من المجالات الحساسة ولا سيما في مجتمعاتنا، ولذا طالما كنا نواجه تحدي طرح أسئلة من هذا القبيل في بعض المشاريع الاستطلاعية التي انخرطت بها بشكل مباشر، فأذكر كيف كان السؤال عن «هل تؤمن بوجود الله؟» مثار تفكير ونقاش مع لجنة في الإدارة المركزية للإحصاء الكويتية حينما انضمت الكويت لأول مرة لمشروع مسح القيم العالمي (WVS) الذي بدأ في الثمانينيات وينفذ في أكثر من ٦٠ دولة حالياً.

لقياس التدين والإلحاد غايات متنوعة قد تجمع الضدين لغايات بحثية علمية

٥٦٪ من الأمريكيين يرون أنه ليس من الضرورة الإيمان بالله حتى تكون أخلاقياً

مفهوم الدين

ثمة أسئلة أخرى في قياس التدين في ذات مسح القيم العالمي مثل: ما مدى أهمية كل من الأمور التالية في حياتك؟ ومنها الدين أو الله، والسؤال عن الإيمان الديني باعتباره من الصفات التي يمكن تشجيع الأطفال على تعلمها في المنزل، وأيضاً مدى الثقة بالمؤسسات الدينية (المساجد، الوزارة، الجماعات الدينية، الجمعيات..)، ومفهوم الدين إذا كان اتباع القواعد والطقوس الدينية، أو عمل الخير للآخرين أو كلاهما.

وفي سلسلة استطلاعات منظمة «بيو» (Pew) لاستطلاعات الرأي، وردت أسئلة تقيس الإيمان بوجود الله، وعلاقة الإيمان بالله على السلوك الأخلاقي والقيم، حيث بينت بعض نتائج استطلاعات رأي الأمريكيين انقساماً فيما إذا كان من الضرورة الإيمان بالله حتى تكون أخلاقياً وصاحب قيم جيدة، حيث أجاب ٥٦٪ في آخر استطلاع يونيو ٢٠١٧م أنه ليس بالضرورة، مقابل ٤٢٪ من أجابوا أنه بالضرورة.

كما توسعت أسئلة الإيمان بالله لدرجة السؤال عن إذا كان المستجوَب صلى ودعا الله أن ينجح فريقه الرياضي المفضل، أو رأيه بشكر بعض الرياضيين الله عند فوزهم، أو فيما إذا يعتقد المستجوَب أن الله تدَخل في نتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية عام ٢٠١٦م كما في استطلاعات «PRRI»! ومدى التفكير بالله والدين ومدى الشك بوجود الله؛ حيث بينت آخر نتائج استطلاع ««PRRI/RNS Religion News Survey، في يونيو ٢٠١٦م، أن ما يقرب من ثلاثة أرباع الأمريكيين لا يشكّون بوجود الله، وهو ما يتفق مع العديد من نتائج جهات أخرى مثل نتيجة سؤال منظمة «جالوب» (Gallup) المباشر في عام ٢٠١٦م: هل تؤمن بوجود الله؟ حيث أجاب ٨٩٪ بنعم، وأجاب ١٠٪ بالنفي، و١٪ دون رأي، ومثل هذه النسب في استطلاعات «بيو» كذلك.

ولعل من أشمل مشاريع استطلاعات الرأي التي تقيس التدين والإلحاد بالتفصيل، مشروع Religion Study of the International Social Survey Program (ISSP)) ، الذي تكرر عدة مرات في الأعوام ١٩٩١، ١٩٩٨، ٢٠٠٨م، ومن المتوقع أن ينفذ في عام ٢٠١٨؛ حيث أتيحت لي الفرصة بمراجعة بعض استمارة المسح والاطلاع على أسئلة مباشرة حول نظرة المستجوَب لله، ومدى القناعة بوجوده، والغيبيات الأخرى بالتفصيل كالجنة والنار والإيمان بالمعجزات الدينية.. إلخ، كما تحاول أسئلة هذا المشروع الدخول بعمق في معرفة الإيمان بالله من عدمه من خلال سؤال المستجوب عن مراحل زمنية بالإيمان بالله وتغيراتها والنظرة للحياة بما ترتبط بالإيمان بالله، كما تتضمن استمارة الاستطلاع أسئلة أخرى من شأنها التعرف على أفكار وتوجهات المستجوب المتدين والملحد في مسائل حياتية متنوعة.

كما تنوعت أسئلة أخرى حول كيفية التعامل مع الملحد، ومدى قبول المجتمع للإلحاد (atheism،Godlessness)، حيث تشير بعض نتائج استطلاعات Princeton

Survey Research Associates International إلى نمو قبول المجتمع الأمريكي للإلحاد برغم أنه أغلبيته الساحقة تؤمن بالله، وهذا يتفق مع العديد من قضايا الرأي العام، حيث تكون الأغلبية لها رأي مغاير، ولكنها تقبل الرأي الآخر، كما هي الحال في موضوع الشذوذ الجنسي على سبيل المثال.

الأغلبية تؤمن بوجود الله

ومن خلال نظرة عامة على نتائج استطلاعات رأي مسح القيم العالمي (WVS) في الموجة السادسة ٢٠١٠ – ٢٠١٤م في السؤال المباشر حول الإيمان بالله، يتبين لنا أن أغلبية ساحقة من الشعوب تؤمن بوجود الله مع استثناءات قليلة في الصين واليابان وهونج كونج وبعض الدول الأوروبية، حيث لا يؤمن أكثرها بوجود الله، كما انقسمت بعض الشعوب في إيمانها بالله مثل كوريا الجنوبية، وهولندا، وتشير نتائج الشعوب العربية والإسلامية القليلة التي شملها المسح، التي أبقت السؤال بأن الأغلبية الساحقة جداً تؤمن بوجود الله، وقد وصلت في بعض الدول ١٠٠٪ مثل الأردن والجزائر وباكستان، وقريب منها في العراق وليبيا وماليزيا، وأذربيجان ولبنان وتركيا.

تحتاج نتائج الأسئلة الخاصة بالإلحاد إلى الانتباه لعدة أمور مهمة، مثل الحذر من مجرد المقارنة دون التعرف على دين كل شعب من الشعوب التي سئلت، فلا يمكن مساواة بعض الأديان التي تقوم على عبادة حيوان أو شجر أو أشخاص وغيرها مع الأديان السماوية، وربما هذا ما يفسر انخفاض نسبة الشعوب ذات الديانة البوذية في الإيمان بوجود الله مقابل الأديان السماوية، فكما هو معروف أن شعوب الصين واليابان غالوا في تقديس بوذا حتى ألّهوه، وفي مقابل ذلك فإن ارتفاع نسبة الإيمان بوجود الله والانخفاض الحاد في نسبة الإلحاد في مجتمعات ليس من السهولة الإقرار بالإلحاد تحتاج لمراجعة حتى وإن كانت النسبة ضئيلة جداً كما هو في المجتمعات العربية، فكلنا يعرف أن هناك من الملحدين العرب لا يصرحون إلا في بعض مواقع الإنترنت «الحوار المتمدن»، وكقناة «الملحدين بالعربي» والمنتديات، كحال منتدى اللادينيين العرب أو السوريين أو التونسيين وغيرها فضلاً عن قنوات «اليوتيوب».

من تجربة ممارس في قياس الرأي، ومع تعقد ظاهرة الإلحاد والشك، وما لها من ارتباط بالتطورات المتعلقة بالتطرف والحرية الإلكترونية، فإن الأسئلة التي سعت لمعرفة درجة الإيمان والشك تحتاج لتطوير ليحقق هدف معرفة درجة الموافقة والاعتقاد أكثر من مجرد السؤال بـ«نعم» أو «لا»، ولعل المعنيين والمهتمين أيضاً بحاجة للتوسع في فهم الظاهرة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية للتعرف على دوافع الشك، وما يقابله من أسباب الإيمان بالله لوضع وسائل وخطط عملية لتعزيز الإيمان ومعرفة كيفية مخاطبة الملحدين أو من يخالطهم الشكوك لا سيما من فئة الشباب.

وفي هذا السياق، أشير إلى تصور مشروع استطلاعي اطلعت عليه مؤخراً يستحق أن يرى النور في وقت قريب لمركز أفق المستقبل للاستشارات السياسية والإستراتيجية، حيث يحاول التوسع في فهم ظاهرة الإلحاد والبحث عن إجابة لأسئلة مهمة؛ مثل: هل الإلحاد أصبح ظاهرة أم لا؟ التعرف على الفئات العمرية والشرائح الاجتماعية التي ينتشر فيها الإلحاد، ما الأسباب وراء انتشار الإلحاد وأبرز الشبهات وراء انتشارها؟ ما العلاقة بين الإلحاد والتطرف أو الجمود الديني؟

ينظر البعض إلى أن أسئلة قياس التدين والإلحاد لها سلبيات عديدة، من أبرزها إسقاط هيبة الموضوع المقدس بالسؤال عنه، ولا سيما إذا كان بطريقة مجردة تناسب حيادية قياسات الرأي العام، ولذا فإن السؤال الذي أشرت إليه عن وجود الله حذف من استمارة دولة الكويت في مسح القيم العالمي لهذا المبرر، بالإضافة لمبررات أخرى منها بأن ثمة أسئلة أخرى تقيس التدين وأهمية الدين يمكن الاستدلال منها.

لا شك أن أسئلة التدين والإلحاد رغم حساسيتها فإن لها أهميتها لفهم المجتمعات وتغيراتها والتوجهات الحديثة، ولا سيما مع انتشار شبكات التواصل والتفاعل الاجتماعي، التي اقتحمت الكثير من الحواجز الفكرية والمقدسات؛ مما يتطلب معرفة كيفية التعامل معها باحترافية، وقبل ذلك قياسها بمهنية وحيادية.

وأما السؤال عن أهمية الدين في حياتك ضمن ذات المشروع، فقد كان طرحه مقبولاً في الدول العربية والإسلامية أكثر من السؤال عن وجود الله والحقيقة التي تشير إليها نتائج متواترة بهذا المسح أو غيره بأن الدين مهم جداً في حياة الشعوب الإسلامية أكثر من الشعوب غير الإسلامية، ولعل هذه من الحقائق التي يجب أن يتنبه لها من يعادون الدين الإسلامي سواء كسلطات أو توجهات أو أفراد، بالإضافة للدارسين في مجال الإرهاب والتطرف حين تكون معادة هذا الإيمان المجتمعي المتجذر في نفوس المسلمين وعدم تطبيق أحكامه وشعائره سبباً لردود أفعال متطرفة.■

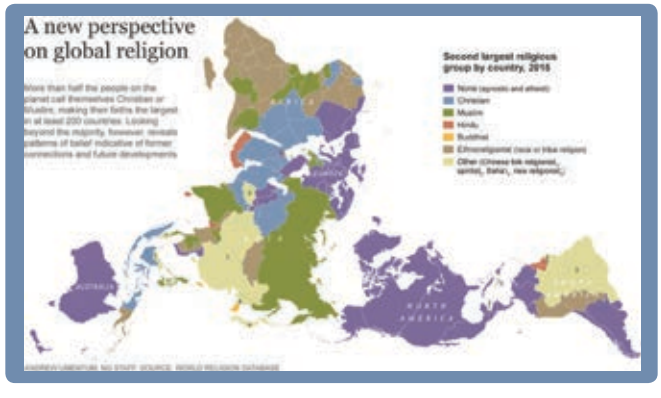

لا مساواة بين الأديان التي تقوم على عبادة حيوان أو شجر أو أشخاص وغيرها مع الأديان السماوية

الأسئلة التي سعت لمعرفة درجة الإيمان والشك تحتاج لتطوير لتحقق الهدف

«علاقة غريبة تلك التي تجمع بين الإلحاد والمؤسسات الدينية في عالمنا العربي والإسلامي، فبدلاً من أن تكون تلك المؤسسات إحدى الوسائل التي يلجأ إليها المجتمع للتعامل مع تلك الظاهرة، إذا بها تصبح وقوداً لتلك الظاهرة وإحدى وسائل تغذيته».. هكذا يرى مراقبون، في حين يرى آخرون أن الصراعات السياسية التي تدخل فيها تلك المؤسسات كطرف ضد طرف آخر هي من تحرك مثل هذه «الادعاءات»، مؤكدين أن المؤسسات الدينية في عالمنا العربي والإسلامي تبذل قصارى جهدها في مواجهة مثل تلك الظاهرة.

الإلحاد والمؤسسات الدينية..

هل نجحت المواجهة أم كانت وقوداً له؟

إسلام عبدالعزيز

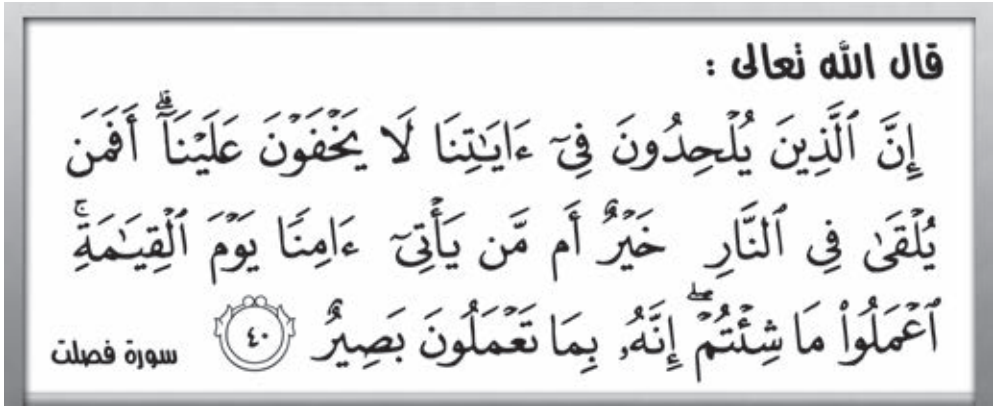

وجهتا نظر – إذن – تحكمان طبيعة التعاطي مع تلك الأزمة، وبينهما تقف الحقائق شاهدة على أن مؤسساتنا الدينية فقدت كثيراً من بريقها في أعين الشباب، بل وكثيراً من الثقة فيها وما ينتج عنها.

وهنا يمكننا الحديث عن مجموعة من الأسئلة التي تكشف حقيقة هذا الموقف؛ ومنها: إلى أي مدى يتسق خطاب تلك المؤسسات مع روح العصر التي يؤمن بها الشباب إيماناً يقينياً؟ وماذا عن الفتاوى على وجه التحديد؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبارها أحد الأدلة على كون هذه المؤسسات أحد مغذيات الإلحاد؟ وماذا عن جهود تلك المؤسسات في مواجهة هذه الظاهرة؟ ثم ماذا عن المحسوبين على تلك المؤسسات وخطابهم؟

في تعليقه، أكد د. يحيى إسماعيل حبلوش، أمين عام جبهة علماء الأزهر سابقاً، أن الأصل في أمتنا أنه لا توجد فيها مؤسسات دينية وغير دينية، لأن دساتيرنا كدول عربية وإسلامية تنص في أول ديباجتها أن دين الدولة هو الإسلام، ولو صدقت النيات وصحت العزائم لكان في هذا النص كفاية لأن تكون المؤسسات كلها معبرة أو ملتزمة بضوابط الإسلام.

وبالتالي؛ أكد حبلوش رفضه توصيف بعض المؤسسات بالدينية؛ لأن ذلك – برأيه – لا يكون إلا في النصرانية أو اليهودية، ويعني أيضاً أننا نقر بأن لله عز وجل نصيباً في وزارة واحدة أو دار للإفتاء، أما بقية مؤسسات الدولة فهي لا علاقة لها بالشرع.

ولذا يرى أستاذ الحديث بجامعة الأزهر أن خطاب تلك المؤسسات مع ظاهرة كالإلحاد في وجود هذه القسمة الجائرة خطاب غير مؤثر، ويلفت إلى أن الرموز المحسوبة بشكل أو بآخر على تلك المؤسسات قد سقطت من عين الله رب العالمين على حد تعبيره.

ويدلل حبلوش قائلاً: ألم يسقط من يقول عن القُبلة الأولى في غير زواج أنها حلال؟ ألم يسقط من يقول عن الراقصة إنها شهيدة إذا ماتت في عملها؟ ألم يسقط من مازال يبحث عن الشاذ من الآراء الفقهية، ثم تحدثني بعد ذلك عن شباب ملحد وتعتقد بأن لدينا مؤسسات تنتج خطاباً يواجه هذا الإلحاد؟!

ويتابع: الأمة كلها بمؤسساتها ما لم تنهض بحق الإسلام عليها فكلها آثمة إثماً مركباً؛ لأنها تخدع نفسها وتخدع الأنظمة العالمية بالنص على أن دينها الرسمي هو الإسلام، ثم تترك أمثال هذه الخطابات المنفرة.

من جانبه أكد د. أحمد كريمة، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، أن جريمة الإلحاد قديمة قدم الزمان، مستشهداً بقوله تعالى: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) (الجاثية: ٢٤)، لافتاً إلى أن الإمام أبا حامد الغزالي في إصداراته العلمية قرر صراحة أن جريمة الإلحاد يتحملها أشياخ جهلة بغّضوا الحق سبحانه وتعالى إلى الخلق.

وأوضح كريمة أنه بتنزيل ذلك على الواقع المعيش، فإن أحداثاً وتصرفات من بعض المنسوبين إلى الدعوة وأكثرهم ليسوا أهل اختصاص يقدمون صورة مغلوطة عن الدين الذي هو من الله تعالى للعالمين، يربط

الإنسان بالمبادئ والنصوص والقواعد الشرعية، بغض النظر عن الأشخاص مهما كانوا، وبهذا يتميز الإسلام عن غيره.

وهنا بحسب أستاذ الفقه المقارن يأتي الخلل، لأن هؤلاء الأشخاص بشر فيهم إيجابيات وسلبيات، لكن الناشئة على وجه الخصوص يريدون القدوة الطيبة في السلوكيات فلا يجدون، سوى قداسة موهومة تتناقض أفعالها مع أقوالها، بالإضافة إلى سوء فهم الدين وسوء عرضه، فقد تركنا وأهملنا الجواهر النفيسة وبددنا الجهود في الخلافات الفرعية، فالناشئة يريدون من يأخذ بأيديهم إلى الإيمان الصافي بالله تعالى.

واستدرك أستاذ الفقه المقارن قائلاً: لا توجد في المؤسسات الدينية ولا الدعوية في العالم الإسلامي أجهزة لمعالجات الإلحاد، وللأسف هناك مؤسسات تابعة للمجتمع الأهلي والمدني تملك خبرات وبرامج ولكنها تفتقر للتمويل اللازم لمواجهة مثل تلك الظواهر.

ويختم قائلاً: وهنا لا بد من ذكر الإعلام الذي يسهم إلى حد كبير في انتشار ظاهرة الإلحاد، بطرق كثيرة، فلا يوجد برنامج واحد تخصصي للتصدي للظاهرة، بل كلها برامج للإثارة ومواعظ للترغيب والترهيب، لا تعتمد على منهج علمي.

معالجة فاشلة

من جانبه، يرى د. جمال عبدالستار، وكيل أول وزارة الأوقاف المصرية الأسبق، أن الإلحاد اقترب أن يكون ظاهرة، لكنه بالمعايير العلمية المنهجية ليس ظاهرة كاملة، مؤكداً أن هناك وسائل كثيرة لتضخيم أثر الإلحاد ومعالمه، لكنه في النهاية وفي كل أحواله ينبغي الوقوف عنده ودق ناقوس الخطر من أجله.

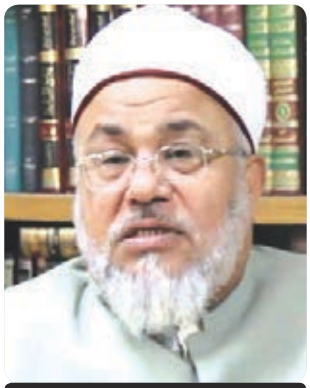
• د. يحيى إسماعيل حلبوش

الأمة كلها بمؤسساتها ما لم تنهض بحق الإسلام عليها فكلها آثمة إثماً مركباً

ويتابع أستاذ الدعوة بجامعة الأزهر أن معالجات المؤسسات الدينية لهذه الظاهرة معالجة فاشلة من جوانب كثيرة، فمن حيث الوسيلة المستخدمة في نقاش هؤلاء أو الكتب أو المناظرات أو غيرها حيث يتم كل ذلك بخلفية غير صحيحة.

ويستشهد عبدالستار قائلاً: فترى مثلاً استدلالاتهم وكأنها استدلالات لمجتمع من المؤمنين، في حين أنهم يناقشون أصلاً أناساً قد تخطوا مرحلة الكفر بالقرآن وبالسُّنة إلى إنكار وجود الله من الأساس، ولا يستخدمون وسائل الإقناع الفكري والعقلي التي استخدمها القرآن نفسه في خطاب هؤلاء المنكرين لوجوده سبحانه وتعالى.

ويؤكد عبدالستار أن أحد أهم أسباب فشل تلك المؤسسات هو عدم وجود كوادر مدربة ومؤهلة لممارسة مثل هذا الحجاج العقلي، بحيث لا تجد بداخلها من اطلع على شبه هؤلاء الملحدين ودرسها من زواياها المختلفة عقلياً واجتماعياً وسياسياً ثم تعامل معها في سياقها واستطاع صياغة تفنيد قادر على الإقناع بالحجج العقلية بعيداً عن الاستشهادات القرآنية والنبوية.

• د. أحمد كريمة

لا توجد في المؤسسات الدينية ولا الدعوية في العالم الإسلامي أجهزة لمعالجات الإلحاد

وتحدث عبدالستار عما أسماه «الكارثة الأكبر» قائلاً: إنها تتمثل في أن المؤسسات الدينية وكذلك بعض الرموز هم من أسباب هذه الظاهرة؛ حيث وثقت بهم الجماهير عامة والشباب على وجه الخصوص، لكنهم سقطوا في مواقف جعلتهم يتناقضون مع كل القيم التي كانوا ينادون بها والمفاهيم التي كانوا يدعون إليها؛ وبالتالي تولد لدى كثير من الشباب مشاعر السخط على الدين الذي يدعو إليه هؤلاء.

• د. جمال عبدالستار

تورط المؤسسة الدينية في بعض السقطات المخزية كان من أسباب لجوء الشباب إلى الإلحاد

واختتم عبدالستار قائلاً: من هنا أستطيع القول وبكل وضوح: إن تقصير المؤسسة الدينية وتورطها هي ورموزها في بعض المشاهد في سقطات مريعة ومخزية كان من أبرز أسباب لجوء الشباب إلى الإلحاد؛ لأنهم يبحثون عن مسلك آخر يُحدث لهم قناعة وثقة بعد أن اهتزت الثقة التي أولوها تلك المؤسسات وهؤلاء الرموز فضاعت تلك الثقة في وقت الأزمات حينما رأوا القول عكس الفعل بطريقة مريعة.

خطاب «فتنة»

أما د. عطية عدلان، أستاذ أصول الفقه، فيرى أن

المؤسسات الدينية المعاصرة سواء التابعة للدولة كالأزهر ودار الإفتاء والأوقاف، أو غير الرسمية كالجماعات الإسلامية بمؤسساتها وأحزابها كلها أسهمت بشكل أو آخر في تفشي ظاهرة الإلحاد.

ويتابع: الخطاب الإسلامي على وجه العموم في هذه المرحلة لا يعبر عن الإسلام تعبيراً حقيقياً، ولا يحل مشكلات البشرية، ولا يتوافق مع الفطرة الإنسانية بصورة كاملة، ولا يحقق مصلحة الدعوة الإسلامية على سبيل الحقيقة؛ ففيه كثير من تغيير الحقائق وتبديلها عن طريق تحميل النصوص ما لا تحتمل، الخطاب فيه مبالغات في جزئيات وإهمال لكليات.

ويرى عدلان أن هذا الارتباك في الأداء مع سوء الخطاب يعتبر في حد ذاته فتنة، أو هو على وجهين من وجوه ثلاثة في تفسير قول الله تعالى: (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا) (الممتحنة: ٥)؛ أي لا تجعلنا بأفعالنا وأقوالنا قدوة سيئة للناس ولا نمثل دينك تمثيلاً صحيحاً فيكون هذا صاداً للناس عن اتباع الحق، وعلى الوجه الآخر يعني أي ربنا لا تمكن منا أعداءك فيقولون: لو كانوا على الحق لمكنوا فيفتنهم ذلك عن دينك.

وأكد عدلان أنه وبلا شك، فإن المؤسسات الدينية على اختلاف توجهاتها كانت سبباً كبيراً جداً في تفشي تلك الظاهرة، وبدلاً من أن تكون أحد عوامل الثبات في وجهها كانت - للأسف - أحد روافد تهيئة الشباب لقبول فكرة الإلحاد.

وعن محاولات تلك المؤسسات وغيرها مواجهة ظاهرة الإلحاد قال عدلان: للأسف كلها محاولات فردية، بمعنى أنها إما مبادرات لأفراد،

• د. عطية عدلان

الخطاب الإسلامي على وجه العموم في هذه المرحلة لا يعبر عن الإسلام تعبيراً حقيقياً

أو مؤسسات صغيرة، كمواقع يقيمها بعض الأفراد تدعو للإسلام وتواجه الإلحاد، وللأسف نفتقد لمواجهة قائمة على عمل مؤسسي ليس في مواجهة الإلحاد فقط، وإنما في البحث عن جذوره وأسبابه من ظلم واستبداد وعدم تمكين للشباب.

الدور العكسي

ويرى الشيخ سلامة عبدالقوي، المتحدث الرسمي الأسبق باسم وزارة الأوقاف المصرية، أن دور الملحدين ومؤسساتهم ينشط من خلال منصات التواصل الاجتماعي ومواقع الإنترنت في البيئة الخصبة، وهي البيئة التي يكون فيها استبداد وقهر وعدم ممارسة حقيقية وتمكين للشباب.

ويتابع: من هنا يكون دور المؤسسات الدينية التي من

• الشيخ سلامة عبدالقوي

دور المؤسسة الدينية أن توازن بين القهر والاستبداد الذي يعيشه الشباب واستيعابه والحفاظ عليه

المفترض أن تقوم لإحداث توازن بين حالة القهر والاستبداد الذي يعيشه الشباب وبين استيعابه بشكل مباشر والحفاظ على هذه الثروة البشرية من عوامل التآكل العقدي والأخلاقي.

ويرى عبدالقوي أن المؤسسات الدينية في عالمنا العربي على وجه التحديد صارت بعيدة كل البعد عن ممارسة هذا الدور الاستيعابي بكل تفاصيله وتفريعاته، لأنها أصبحت مشغولة بشكل واضح بمساندة الأنظمة والسير في ركابها، فإذا كان النظام يعطي مساحة للمنحرفين فكرياً وعقائدياً وأخلاقياً؛ فنجد المؤسسات الدينية تغض الطرف عن الحديث عن هذه الانحرافات خوفاً منها أن تكون في خصومة مع هؤلاء لأنهم «مسنودون» من النظام.

ومتأسفاً قال عبدالقوي: وهذا خطأ شنيع، فدور عالم الدين ينبغي أن يكون بخلاف ذلك، حيث من القواعد المقررة أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، فإن دعت الحاجة إلى الحديث عن الانحرافات الأخلاقية كان أول المتحدثين ويحذر الناس منها، حتى وإن كان ذلك فيه مخالفة للنظام أو حتى لرأس النظام في ذلك البلد.

وقال عبدالقوي: ينبغي أن نعترف أن الشباب يتمتع بذكاء اجتماعي عالٍ جداً، وبالتالي فعندما يبتعد عالم الدين أو المؤسسات الدينية عن الصواب فإنه يفقد الثقة فيهم بالكلية، ويحاول البحث عن ضالته ومدينته الفاضلة في مكان آخر، بالتالي يقع فريسة سهلة في يد المواقع الإلحادية التي تقابله بكم من الشبهات هو غير مدرب على مواجهتها وتلمس عنده قناعات معينة تولدت جراء مواقف مؤسساته الدينية ورموزه المتخاذلة؛ وبالتالي يجد نفسه قد تحول من حيث لا يدري ويتحدث بلسانهم ويصير داعياً لهذا المنهج فيما بعد.

أيضاً تحدث عبدالقوي عما أسماه الدور العكسي للمؤسسات والرموز الدينية، حيث يرى أن بعضها يخرج على الشباب في برامجه ليتحدث بطريقة تناقض الدين وتناقض العلم؛ وبالتالي وكأنه يدفع الشباب دفعاً إلى ترك هذا الدين الذي لا علاقة له بالعلم أو بالفطرة.

وعن العلاج الصحيح، قال سلامة: الإلحاد سببه الأساس عدم تمكين الشباب في بيئات القهر والاستبداد، وما المؤسسات الدينية إلا وسيلة من وسائل المستبد لترسيخ ملكه وقهر الشعوب في يد هذا المستبد، ولذا يجب علاج تلك الظاهرة من أساسها وهي القهر والاستبداد.■

الإلحاد والعالم العربي..

ضبابية الأرقام وواقعية الحضور

«مسألة الخروج من الدين ليست سهلة، بل تجربة صعبة، يشعر الشخص بثورة على كل شيء، يشتم الدين هنا وهناك، يحاول ارتكاب الرذائل ويسعى للبحث عنها على سبيل الاستكشاف، هذه الفترة قد تطول أو تقصر، أما أنا فقد تمكنت من عبورها سريعاً».. هكذا عبر أحد الشباب العربي موثقاً إحدى أهم فترات حياته وهي الانتقال من الدين إلى اللادين.. من اليقين إلى الشك.. إلى مرحلة «اللاأدرية».

علا عبدالحميد

حسب الإفتاء المصرية عام ٢٠١٤م: عدد الملحدين بمصر ٨٦٦ وبالمغرب ٣٢٥ وتونس ٣٢٠ والعراق ٢٤٢

«جالوب»: أعلى نسبة إلحاد في الصين ومرتفعة في الدول الشيوعية السابقة ودول أفريقيا جنوب الصحراء

نسبة الذين لا يؤمنون بوجود الله أو يشككون فيه بلغت ٣٢٪ في العراق

إنه الإلحاد إذن، ضياع الهوية وإطلاق الشك، والتحلل من كل ما يظنه الملحد قيوداً داخل إطار الدين.

وبين ضبابية في الأرقام والإحصاءات، وواقعية ملموسة في الحضور داخل التجمعات وما تفرزه من نقاشات، يعيش العالم العربي حالة من عدم الفهم لما يمكن اعتباره ظاهرة الإلحاد في أوساط الشباب العربي.

فإلى أين وصل داخل وطننا العربي؟ وهل يمكن اعتباره ظاهرة؟ وكيف نفهم تلك الأرقام المتضاربة؟ وما تفسير انتشاره حسب بعض الإحصاءات في البيئات الأكثر التزاماً؟

في هذا التقرير نحاول الإجابة عن هذه الأسئلة، من خلال رصد المساجلات حول أعداد الملحدين العرب، وما تمثله تلك المساجلات من عدم اعتراف بالواقع تارة ومن تهويله تارة أخرى، وفي الحالتين ما تفرزه من انصراف عن السؤال الحقيقي الذي ينبغي توجيه الجهود إليه وهو: كيف نواجه تلك الظاهرة؟

إحصاءات

ربما يفتقد عالم الإلحاد لإحصاءات حقيقية نظراً لحالة عدم القبول التي يقابل بها المجتمع العربي الملحدين؛ وبالتالي فإن إعلانهم عن أنفسهم يظل مستحيلاً، إما لخوف من البطش أو أن يكونوا منبوذين داخل مجتمعاتهم.

لكن الحضور الطاغي يكون حيث لا يعرف أحد أحداً، يعلن الملحد عن نفسه ليقول ما يشاء ويجهر بما يريد دون أن يعرفه أحد.. إنه عالم الإنترنت.

وقد ساعد لغط الإحصاءات وتناقضها في مزيد من الغموض، وعدم تركيز الجهود على طرق العلاج.

فمثلاً في يناير ٢٠١٤م، أصدرت دار الإفتاء المصرية تقريراً حول أعداد الملحدين في الوطن العربي، حيث قالت: إن عددهم في مصر ٨٦٦ ملحداً، وفي المغرب ٣٢٥، وفي تونس ٣٢٠، وفي العراق ٢٤٢، وفي السعودية ١٧٨، بينما كان عددهم ١٧٠ في الأردن، و٧٠ في السودان، و٥٦ في سورية، و٣٤ في ليبيا، و٣٢ في اليمن، وهو ما يساوي ٢٢٩٣ ملحداً بين سكان الوطن العربي البالغ عددهم وقتها قرابة ٤٠٠ مليون نسمة.

وفي حين أثار تقرير دار الإفتاء كثيراً من الاستهجان لدى البعض بوصفه يقدم حصراً بدون آليات دقيقة، فإن آخرين تصوروا أن التقرير تعامل مع نشطاء الملحدين الذين جاهروا بإلحادهم، بعيداً عن قواعد جماهيرية كبيرة تتفاعل مع رؤاهم على صفحات التواصل الاجتماعي.

في حين كشفت دراسة أجراها «منتدى بيو فوروم للدين والحياة العامة» (Pew Forum)، وهو مركز دراسات وأبحاث أمريكي متخصص بالأديان والمعتقدات، في أكثر من ٢٣٠ دولة، طوال عام ٢٠١٠م وصدرت نتائجها عام ٢٠١٢م؛ أن الإلحاد أصبح «الديانة» الثالثة من حيث العدد في العالم بعد المسيحية والإسلام.

وكشفت الخارطة أن أقل نسبة ملحدين موجودة في الشرق الأوسط، حيث لا يزيدون على ٢٪ (مليونان ومائة ألف) من مجموع مليار ومائة مليون ملحد في العالم، لاسيمّا أن أكبر عدد مؤمنين ما زال في الشرق الأوسط.

أما البحث الذي أجراه معهد جالوب الدولي WIN-Gallup International عام ٢٠١٢م في ٥٧ دولة وشمل ٥٠ ألف شخص بعنوان «مؤشر عام حول الدين والإلحاد»، فكشف أن ٥٩٪ من المستجوبين مؤمنون مقابل ٢٣٪ غير دينيين و١٣٪ كانوا ملحدين.

وأظهر البحث أن أعلى نسبة إلحاد توجد في الصين، وأن النسبة مرتفعة في الدول الشيوعية السابقة ودول أفريقيا جنوب الصحراء على غرار جنوب أفريقيا.

إلا أن المفاجأة كانت المملكة العربية السعودية حيث بلغت نسبة الملحدين ٦٪، على الرغم من أن المملكة تعتبر واحدة من أكثر البلدان الإسلامية حرصاً على تطبيق الشريعة.

وطبقاً لموقع «رصيف ٢٢»، ذكر باحثٌ أمريكي على موقعه أن نسبة الذين لا يؤمنون بوجود الله أو يشككون فيه قد بلغت ٣٢٪ في العراق، في حين أفاد «تحالف الإلحاد الدولي» أن عدد أعضائه العرب تزايد بعد الثورات العربية (٣٣٣ مصرياً و٢٢١ تونسياً).

كل هذا التضارب وعدم الوقوف على إحصاءات صحيحة موثقة جعل من الإلحاد عالماً خفياً، يصعب التعرف على مستويات انتشاره إلا من خلال تجمعات الملحدين، وهي بالضرورة تجمعات يمكن أن تكون وهمية وقابلة للتشكيك من باب كونها في العالم الافتراضي.

الوجود والتجمعات

«سنخلق عالمنا بأيدينا، انتهى عصر تكميم الأفواه، لن يستطيع أحد أن يقف أمام عالمنا الجديد، وسنكتسب كل يوم أعضاء جدداً في دنيانا البعيدة عن أيديكم».. تلك إحدى العبارات التي تمتلئ بها صفحات الملحدين العرب على مواقع التواصل الاجتماعي، التي تعد أحد أهم معايير قياس مدى تأثيرهم في دوائر الشباب العربي والإسلامي، مع كونها قابلة للتشكيك كما أسلفنا.

مئات من صفحات «فيسبوك» و«تويتر» للملحدين العرب جذبت آلاف المتابعين خلال السنوات الأخيرة

محاولات مواجهة الملحدين بدائية على مستوى التكتيك وسطحية على مستوى الطرح وغير مؤسسية

وفي محاولة للبحث عن تجمعات الملحدين العرب على الشبكة العنكبوتية، فإن هناك بحثاً أجرته «هيئة الإذاعة البريطانية» عن كلمة «ملحد» باللغة العربية والإنجليزية على شبكات التواصل، أظهر أن مئات من صفحات «فيسبوك» وحسابات «تويتر» التابعة لملحدين من العالم العربي جذبت آلاف المتابعين لها خلال السنوات الأخيرة.

وعلى موقع «فيسبوك» تحديداً هناك صفحات كثيرة أبرزها «شبكة الملحدين العرب» التي تضم ٢١٤٠٧، وهناك «شبكة ومنتدى الملحدين العرب» التي تضم ٧٤٥١٠.

وهناك صفحات محلية داخل الأقطار مثل «الملحدين التونسيين»، التي يتابعها قرابة ٤٤٣٧٣، و«الملحدين السودانيين» التي تضم تحديداً ٢٥١٧ عضواً، بخلاف مئات المتابعين، وأيضاً «شبكة الملحدين السوريين» التي تضم أكثر من ٤٠٠٠ متابع.

وعلى «تويتر»، يتراوح عدد متابعي الحسابات التي يعلن أصحابها عن إلحادهم بين المئات والآلاف، فمثلاً يتجاوز عدد متابعي حساب «أراب أثيست» ٨ آلاف متابع، وأغلب هؤلاء يتعاملون عبر حسابات وهمية لا يعلنون فيها عن شخصياتهم الحقيقية، وهناك العديد من المدوّنين كالإماراتي أحمد بن كريشان، أو البحريني الشهير محمود اليوسف وغيرهما.

الظهور على الشاشة

وهناك محاولات للظهور العلني بعيداً عن مواقع التواصل، فعلى «يوتيوب» أنشأ بعض الملحدين العرب العديد من القنوات التي تجذب آلاف المشتركين، وغالباً ما ينشر أصحاب هذه القنوات مقاطع فيديو ضد الدين الإسلامي تحمل عناوين مثل «خرافات الدين» مثلاً.

وفي مكان آخر على شبكة الإنترنت أطلق بعض الشباب العربي قناة تلفزيونية على الإنترنت تسمى «العقل الحر»؛ تعرف على أنها «إحدى وسائل الإعلام العلمانية عبر الإنترنت التي تهدف إلى تقديم أخبار بعيدة من هيمنة الرقابة الدينية والحكومية إلى شعوب الشرق الأوسط والعالم».

وهناك قناة أخرى اسمها «الملحدون بالعربي»، تهدف، بحسب ما جاء على موقعها، إلى نشر الوعي العلمي والثقافي والتفكير النقدي وتعتمد على جهود فردية من مجموعة

ناشرين ومحررين ومشاركين.

المواجهة.. كيف تكون؟

هذا الزخم الذي يمكن أن يلحظه المتابع لنشاطات الملحدين على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، تواجهه على الطرف الآخر محاولات لمواجهته بالنقاشات، لكنها تغلب عليها دائماً الفردية.

وفي هذا الإطار، يؤكد علاء الصياد، الخبير في مجال إدارة التفاعلات عبر وسائل التواصل الاجتماعي، أن هذه المحاولات بدائية على مستوى التكتيك وسطحية على مستوى الطرح وغير مؤسسية على مستوى إستراتيجية التعامل.

وأشار الصياد إلى وجوب «مأسسة» هذه المحاولات للحصول على نتائج ملموسة تراعي طبيعة كل شريحة يتم النقاش معها.

وقال: إن الملحد حينما يطرح شبهاته فإنه لا يلتزم بسقف معين، وبالتالي يجب على من يتعرض للنقاش في مثل تلك الوسائل أن يكون على درجة من الوعي والاطلاع على علوم مختلفة تمكنه من فهم سياقات هذه الشبهات وتاريخها ونفسيات مصدريها.

وأشار إلى أن إدراكات هؤلاء الشباب ليست واحدة، وإنما متعددة بتعدد أسباب إلحادهم، حيث منهم الناقم على خطاب متشدد، ومنهم غير المؤمن بالرسالات مع إيمانه بالإله، ومنهم ضحل الفكر والثقافة الذي دخل إلى عالم الإلحاد كموضة اقتضتها بيئته الجديدة داخل الجامعة أو غيرها، وبالتالي فلابد للمتصدين لهذه الموجات من إدراك الفوارق بين هؤلاء جميعاً؛ لأن كلاً منهم يحتاج بالضرورة إلى ردود ومداخل مختلفة.

ولفت الصياد إلى ضرورة استخدام ما يتيحه الوسيط «الإنترنت» من وسائل يمكن أن تؤدي دوراً كبيراً في إطار النقاشات المختلفة بعيداً عن الوسائل التقليدية، قائلاً: يمكن إنتاج أشكال معروفة كـ«الإنفوجراف» أو «الفيديوجراف» أو أي من الوسائل التي يمكنها إيصال الرسالة بعيداً عن نقاشات مباشرة تؤدي في بعض الأحيان إلى صدامات تحركها نوازع الانتصار للنفس وعدم البحث عن الحقيقة المجردة.

وقال: غرف «البالتوك» التي كانت في فترة من الفترات إحدى ساحات المواجهة والنقاش خير دليل على فشل ذريع منيت به مجموعات المواجهة لأسباب تتعلق بعدم المؤسسية وعدم الحرفية في الدفاع عن القضية التي يتم التحاور فيها.■

قسيمة اشتراك بمجلة «المجتمع»

اسم المشترك: .....

العنوان: .....

صندوق البريد: .....

الرمز البريدي: .....

تليفون: ٠٠٩٦٥٩٧٢٢٨٢٩٠ – تلفاكس: ٠٠٩٦٥٢٢٥٦٠٥٢٥

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

قيمة الاشتراك السنوي داخل الكويت: ١٠ دنانير كويتية

الدول العربية: ١٧ديناراً كويتياً ـ الدول الأجنبية: ٢٥ ديناراً كويتياً

المؤسسات والشركات: ٣٠ ديناراً كويتياً، (أو ما يعادلها)

تشمل عمولة التحويل

رموز إسلامية بألمانيا لـ«المجتمع»:

نجاح حزب «البديل» بالانتخابات الألمانية قد يدفع أحزاباً معتدلة لتبني خطاب أكثر تطرفاً

أوضح ثلاثة رموز إسلامية بألمانيا، في تصريحات خاصة لـ«المجتمع»، أن النجاح الذي حققه «حزب البديل من أجل ألمانيا» في الانتخابات الأخيرة ٢٠١٧م، ليس هو مكمن الخطر في حد ذاته، حيث لا يمكنه الدخول في تشكيل ائتلاف حكومي؛ وإنما الخطورة في حضوره في المجتمع الألماني الذي انعكس على نتائج الانتخابات؛ وهو ما قد يدفع بأحزاب توصف بأنها معتدلة لتبني خطاب أكثر تطرفاً لتحسين نتائجها الانتخابية المستقبلية؛ وهو ما يدفع بالمجتمع كله نحو اليمين المتطرف.. جاء ذلك في تحقيق صحفي أجرته «المجتمع»، حول عوامل نجاح حزب «البديل من أجل ألمانيا»، وتداعيات هذا النجاح «المحتملة» على المسلمين.

صعود اليمين المتطرف في مرحلة ما لا يعني ظهور تيار سياسي يميني متطرف «مستدام»

شعارات هذا الحزب تشهد تطبيعاً في الإعلام والشارع وعلى لسان السياسيين

من بون، استبق الكاتب والإعلامي الإسلامي نبيل شبيب، صاحب ومدير موقع «مداد القلم» الإلكتروني، الحديث عن أسباب نجاح حزب «البديل»، بتحليل خطوة نجاحه في الانتخابات الأخيرة، مشدداً على ضرورة تحديد كلمة نجاح بصورة دقيقة، فإطلاق الكلمة في الحياة الحزبية الغربية يعني الوصول إلى مستوى من المقاعد في المجلس النيابي تسمح للحزب المعني بالمشاركة في السلطة على الأقل، وليس هذا وارداً بالنسبة لحزب «البديل»، فكان نجاحه نسبياً، حيث حاز على نسبة ١٣٪ تقريباً، كما لا يوجد في المجلس حزب آخر على استعداد لمشاركته في ائتلاف حكومي.

وأشار إلى أن هذا النجاح الحالي لا يعني الاستدامة، موضحاً أن صعود اليمين المتطرف في مرحلة ما لا يعني ظهور تيار سياسي يميني متطرف مستدام؛ بل يعني تضخم موجة احتجاج شعبية قوية ضد سياسات القوى التقليدية، وسرعان ما تضمحل هذه الموجة عند ظهور بديل

• نبيل شبيب

منهجي يرجّح نجاحه عبر ممارسة السلطة مستقبلاً، وهذا ما تشهد عليه انتخابات الرئاسة في فرنسا قبل الانتخابات في ألمانيا.

ولفت محذراً إلى أنه عندما تتبنى أحزاب اليمين التقليدي بعض ما يطرحه اليمين المتطرف من شعارات، يمكن أن تحدّ من نجاحه كما حصل في النمسا في ١٥ أكتوبر٢٠١٧م، مشيراً إلى خطورة ذلك؛ إذ يمثل تحولاً بسياسة البلاد باتجاه التطرف اليميني.

ومن جهته، أشار سمير فالح، نائب الأمين العام في اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا إلى أن صعود اليمين المتطرف بات ظاهرة بارزة في المشهد السياسي والمجتمعي الأوروبي؛ فلا يخلو بلد من

• سمير فالح

البلدان الأوروبية إلا وكان لليمين المتطرف له فيه تواجد وتأثير وصعود.

وضرب ثلاثة أمثلة بما حدث هذا العام ٢٠١٧م على الساحة الأوروبية؛ فقد شهدت الانتخابات البرلمانية في هولندا حضوراً لحزب «الحرية» اليميني المتطرف الذي يتزعمه «خيرت فيلدرز»، حيث جاء في المركز الثاني، علماً أن الاستطلاعات الأولية كانت تمنحه المرتبة الأولى، ثم في فرنسا بالانتخابات الرئاسية حيث نافست «مارين لوبان»، زعيمة «الجبهة الوطنية»، «مانويل ماكرون»، زعيم حزب «إلى الأمام» في الدورة الثانية وخسرت بنسبة ٣٣,٩٪؛ ما يعادل ١١ مليوناً من أصوات الناخبين، ثم انتخابات النمسا الشهر الماضي شهدت أيضاً صعود اليمين المتطرف، حيث جاء «حزب الحرية» في المرتبة الثانية بعد «حزب الشعب» المحافظ الذي اقترب في شعاراته ودعايته الانتخابية من الحزب اليميني المتطرف، وقد يشهد تشكيل الحكومة تحالفاً بينهما.

وتابع: وفي ألمانيا، لم يختلف المشهد كثيراً، حيث شهدت صعود حزب «البديل من أجل ألمانيا» وحصوله على المرتبة الثالثة بنسبة ١٣,١٪ خلف الحزبين التقليديين «الاتحاد المسيحي الديمقراطي»، و«الحزب الديمقراطي الاشتراكي»، علماً أن هذا الحزب تأسس عام ٢٠١٣م وينافس لأول مرة على الانتخابات البرلمانية؛ مما يُعطي هذا الصعود أهمية أكبر.

عوامل الصعود

وحول الأسباب التي دفعت بحزب «البديل من أجل ألمانيا» إلى مستويات متقدمة بمراكز القرار لم يحققها من قبل، لفت **دانيال عابدين، رئيس مجلس شورى هامبورج**، (يضم ٥٣ مسجداً ومؤسسة إسلامية)، إلى أن الحزب استطاع حشد الناس الذين لم يكونوا راضين عن سياسات الأطراف الراسخة، موضحاً أنه تلقى تدفقاً هائلاً من المواطنين الذين لم يوافقوا على موقف الحكومة الاتحادية في سياسة اللاجئين، مؤكداً أن الناخبين أتوا من جميع أطياف المجتمع وليسوا من الفقراء!

إضافة لما سبق، أشار عابدين إلى أن الدافع لنجاح هذا الحزب في الانتخابات لم يكن فقط بسبب النزاع حول السياسة الحالية في ملف اللاجئين، بل أيضاً بسبب الخوف من الإسلام الآخذ في

• دانيال عابدين

الانتشار على نطاق واسع في المجتمع الألماني، معتبراً أن المتغيرات الأخيرة في الخريطة السياسية والمجتمعية بألمانيا تساهم في تعزيز الانقسام الثقافي والسياسي للمجتمع.

وأوضح أنه كانت هناك حالة من الاستياء ضد المسلمين على نطاق واسع لسنوات عديدة قام حزب «البديل من أجل ألمانيا» باستغلالها وتوظيفها لصالح أجندته السياسية.

القضايا المعيشية

أما نبيل شبيب، فأضاف عوامل أخرى ساهمت في نجاح حزب «البديل» حيث قال: لا يكفي لتعليل حصول حزب «البديل» على نسبة نجاح نسبياً تفوق بها على أحزاب صغيرة أخرى، كالخضر والديمقراطيين الأحرار، التركيز على ما سبقت الإشارة إليه أنه يمثل موجة احتجاج على السياسات الحكومية في الدورة السابقة، فهذا يمثل أحد الأسباب، ويدور في الدرجة الأولى حول سياسة فتح الأبواب أمام موجة اللجوء عام ٢٠١٥م رغم أنها لم تعد الآن مصدر القلق الأكبر سياسياً وشعبياً، لافتاً إلى أن الإرث المعرفي في الغرب عموماً بشأن التعامل مع الآخر الأجنبي لا سيما من المسلمين، ينشر مخاوف لدى العامة قابلة للاستغلال عبر شعارات مثيرة وإن لم تقترن ببرنامج سياسي واضح.

وتطرق شبيب إلى العوامل الأخرى لنجاح حزب «البديل»، الذي طرح شعارات تتعلق بالأوضاع المعيشية للسكان، مشيراً إلى أن ألمانيا شهدت ازدياد الهوة الفاصلة بين الثراء والفقر بوضوح؛ مما جعل الوضع المعيشي في مقدمة ما يدفع الناخب إلى الإدلاء بصوته الانتخابي لصالح الحزب الذي يتوخى منه سياسة أفضل.

ولفت إلى أن الميل الاحتجاجي لصالح حزب شعبوي يحدث حالياً نتيجة غياب مفعول الاستقطاب القديم بين يمين ويسار؛ فلا يجد الناخب فرصة للتحول بصوته إلى الحزب التقليدي الآخر وفق معادلة اليمين واليسار، وبتعبير أوضح لم يعد يوجد فوارق كبيرة مميزة بين أحزاب يمينية محافظة على الصعيد الاقتصادي والمالي وأخرى يسارية اشتراكية.

وتابع: منذ نهاية الحرب الباردة وغياب الشيوعية انتشرت ظاهرة انحياز الأحزاب اليسارية يميناً إلى درجة جعلتها لا تختلف عن اليمينية التقليدية إلا اختلافات محدودة، وزاد

على ذلك في ألمانيا بالذات أن الحكومة الائتلافية جمعت الحزبين الكبيرين الاتحاد المسيحي من اليمين تقليدياً، والديمقراطي الاشتراكي من اليسار تقليدياً، وظهر بعض الاستقطاب بينهما مجدداً في المعركة الانتخابية، ولكن أدى إلى خسارة الطرفين نسبة لا بأس بها من أصوات الناخبين، الذين أعطوا أصواتهم للأحزاب الأصغر، ومن ذلك احتجاجاً لصالح حزب البديل اليميني المتشدد.

ينما يرى سمير فالح أن القضايا المعيشية لم تكن من العوامل التي أدت لنجاح حزب «البديل»، موضحاً أن الوضع الاقتصادي وموضوع التشغيل، وهي المواضيع التقليدية في أي انتخابات، لم يكن حاضراً بحجم كبير في الانتخابات البرلمانية الألمانية، ذلك أن النمو الاقتصادي وتراجع نسبة البطالة والزيادة المطردة في الدخل القومي لا يترك مجالاً لنقد الحكومة الحالية من أجل ضرب مصداقيتها من هذه الناحية، الذي كان حاضراً بشكل مباشر وغير مباشر هي مواضيع الأمن والتطرف (طبعاً المقصود به العمليات الإرهابية المنسوبة إلى مسلمين) وموجة اللاجئين والتعامل معها.

اهتراء الأحزاب التقليدية

وأضاف فالح: تركيز الإعلام على مواضيع تزرع الخوف في المشاهد العادي ساهم بشكل كبير في صنع رأي عام يحكمه الخوف ويبحث عن الأمن، وقد نجح اليمين المتطرف في الضرب على هذا الوتر وإبراز الأحزاب التقليدية على أنها غير قادرة على توفير هذا الأمن، بل أنها المتسببة في هذه الأوضاع.

ولفت إلى أن الذين انتخبوا حزب «البديل من أجل ألمانيا» لم تكن لهم قناعات أو توجهات اليمين المتطرف! ولكن المشهد السياسي وعملية الاهتراء التي أصابت الأحزاب التقليدية حولت وجهتهم الانتخابية إلى هذا الحزب، إضافة إلى ذلك، فإن شعارات هذا الحزب وخطابه المتطرف لم تعد تُنفّر الناس، بل – وهذا الأدهى – إن هذا الخطاب وهذه الشعارات تشهد تطبيعاً في الإعلام وفي الشارع وعلى لسان السياسيين.

اليمين المتطرف يفتعل معركة ضد الوجود الإسلامي بالغرب

صعود اليمين المتطرف بات ظاهرة بارزة في المشهد السياسي والمجتمعي الأوروبي

«الإسلاموفوبيا» سمة من السمات السياسية للحزب وسيقاوم قوانين مساواة المسلمين في العبادة

وخلص فالح إلى أن انتخابات ألمانيا شأنها شأن الانتخابات في البلدان الأوروبية الأخرى، تعكس جملة من التحديات التي يعيشها السياق الأوروبي؛ وهي زيادة منسوب «الإسلاموفوبيا» وتفاقم موجة الكراهية ضد الأجانب وصعود الخطاب الشعبوي وتنامي الشكوك تجاه فكرة الوحدة الأوروبية وتنامي دعوات الانفصال.

وحول التداعيات المحتملة على مسلمي ألمانيا خلال المرحلة القادمة، لفت شبيب إلى أن عداء التطرف اليميني للوجود الإسلامي وسيلة تجييش تحولت إلى هدف، وأن استخدامها كان نتيجة لمنطلقاته المبدئية، وليست نتيجة لمعطيات موضوعية، بمعنى نقاط تماس ثنائية قائمة على أرض الواقع.

وأوضح شبيب أن التطرف اليميني ينطلق من رؤية متشددة قومية في الدرجة الأولى وثقافية غربية في الدرجة الثانية، ويعتمد في جلب الأنصار على ما بات يعرف بالخطاب الشعبوي، فيجد التأييد على أطروحات تعميمية ووعود غير مضمونة التنفيذ.

وأضاف شبيب: هذا هو الإطار الذي توضع فيه مقولاته التعميمية حول وجود الإسلام والمسلمين في الغرب، ومن ذلك مثلاً أنه يعزو ارتفاع نسبة البطالة إلى ارتفاع عدد المسلمين، دون تعزيز ادعاءاته بأرقام مقنعة، أو مناقشة ما ينفي ذلك فعلاً من دراسات منهجية وتقارير رسمية.

وتابع: بتعبير آخر؛ اليمين المتطرف يفتعل معركة ضد الوجود الإسلامي لتحقيق أغراض لا علاقة لها بحقيقة وجود الإسلام والمسلمين في الغرب.

متفقاً مع هذه الرؤية ومضيفاً، أكد عابدين أن ظاهرة العداء للإسلام (الإسلاموفوبيا) هي سمة من السمات السياسية لحزب «البديل من أجل ألمانيا»، محذراً من أنه سوف يقاوم كل القوانين التي يتساوى فيها المسلمون في حرية العبادة مع الأديان الأخرى.

وأبدى عابدين استغرابه لأن حزب «البديل من أجل ألمانيا»،

من خلال مهاجمته للإسلام، فإنه يناقض القيم الأساسية للدستور الألماني، مثل حرية الدين، وحرية التعبير، والحق في تنمية الشخصية الحرة، ويعزز المخاوف المتطرفة تجاه مجموعة كبيرة من الناس الذين يعيشون بسلام في ألمانيا، سيكونون كبش فداء القادم بعد اللاجئين.

وتابع: ولكن لا يجوز خداع المرء؛ فالأفكار السياسية التي يقدمها هذا الحزب ليست موجهة فقط للمسلمين، بل موجهة ضد الألمان الضعفاء اجتماعياً، وللعاطلين عن العمل، وللنساء اللواتي يخرجن من العمل أو يعشن في العمل كذلك!

من جهته، أوضح فالح أن مصدر القلق يتمثل في كون الانتخابات ونتائجها تعد تجليات لأوضاع اجتماعية واقتصادية؛ فصعود اليمين المتطرف يعني أن لأفكاره وشعاراته حضوراً في المجتمع.

إضافة إلى ذلك، درجة القبول لهذا الخطاب ستضغط على الأطراف السياسية الأخرى من الاقتراب منه إن لم يكن تبنّيه.

وتابع فالح: وفي هذا الخضم، يجد المسلمون أنفسهم الحلقة الأضعف، فأغلب هذه التطورات تأتي على حسابهم، وقد يتجلى ذلك في المستقبل القريب والمتوسط في الأمور التالية:

- زيادة التوترات الاجتماعية واستهداف المسلمين كأشخاص، وخصوصاً النساء المتحجبات.
- ثقافة الترحيب التي استقبلت بها ألمانيا موجات اللاجئين بصدد التراجع لتترك المكان لثقافة التوجّس والخوف إن لم نقل الكراهية.
- وجود اليمين المتطرف تحت قبة البرلمان سيدفع إلى طرح قوانين وإجراءات تستهدف الوجود الإسلامي بالتضييق، ولن تتأخر بقية الأحزاب على المجاراة بل المبادرة أحياناً إلى سنّ مثل هذه القوانين والإجراءات لسحب البساط من اليمين المتطرف ومحاولة استعادة أصوات الناخبين الذين تخلوا عنه.
- إن المنظومة الديمقراطية في ألمانيا لم تتبع خيار الحظر تجاه الأحزاب اليمينة المتطرفة، واختارت سبيل التدافع المجتمعي والتنافس السياسي، فهل تنجح في هذا الرهان؟ تجربة صعود النازيين في بدايات القرن العشرين تلقي بظلالها السوداء.

الحزب يناقض القيم الأساسية للدستور الألماني مثل حرية الدين والتعبير

على المسلمين تقوية دفاعاتهم والبحث في مستقبلهم للانتقال إلى مرحلة التأثير والخروج من السلبية

المسلم الذي يعيش في دولة القانون يجب عليه الالتزام بالقوانين والأنظمة المعمول بها

وأضاف فالح محذراً من أن المشهد يقض المضاجع وسيناريو قاتم لا أحد يريده، بالأمس كان اليهود وقوداً لهذا التدافع واليوم المسلمون.

رؤية مستقبلية

وحول رؤيته المستقبلية للموقف الصحيح والمطلوب من مسلمي ألمانيا، حذر المفكر الإسلامي شبيب من أن جوهر مصالح الإسلام والمسلمين في أوروبا ليس مرتبطاً بمعركة مع التطرف اليميني، وكل طاقة تضيع في معركة جانبية هي على حساب طاقات ضرورية لتحقيق ثمرات مباشرة على صعيد تطوير إيجابيات الوجود الإسلامي في الغرب عموماً، وعلى صعيد القواسم المشتركة بين المسلمين وسواهم، دون فقدان تميزهم الذاتي، وآنذاك يكون الرد على افتراءات اليمين المتطرف جزءاً من كل وبمشاركة أوسع نطاقاً من فئة المسلمين.

ثاني المواقف المطلوبة من مسلمي ألمانيا خلال الفترة القادمة، كما يراها شبيب، تتمثل في تنمية العلاقات الإيجابية مع فئات منصفة ومع الفئات الشعبية المتأثرة أو المستهدفة من جانب التطرف اليميني، معتبراً أنه سوف تثمر عن دعم المسلمين في العمل لقبول الوجود الإسلامي شعبياً، وبالتالي في مواجهة مشتركة مع الآخرين، لتفنيد أطروحات اليمين المتطرف على الإسلام والمسلمين.

وأضاف مشدداً على أن أهم ما ينبغي التركيز عليه بصدد التطرف اليميني في أوروبا، أن التعامل معه لا يستقيم بمنطلقاته وأهدافه ونتائجه، إلا بقدر ما يكون العنوان الإسلامي لهذا التعامل جزءاً عضوياً من عنوان التعامل معه من جانب المجتمعات الأوروبية نفسها، مؤكداً ضرورة تجنب ارتكاب خطأ ذريع، وعدم الانزلاق إلى ما تريده الأحزاب والتنظيمات المتطرفة يمينياً، وهو فتح معركة ثنائية بين الجانبين، منعزلة عن المجتمعات الأوروبية هجوماً ودفاعاً.

وحول رؤيته المستقبلية، عبر فالح عن أمله في أن توقظ نتائج هذه الانتخابات ضمائر أغفلتها الحسابات السياسية المجردة من كل أنساق اجتماعية، فيعود السياسي إلى منافح ومدافع عن القيم الإنسانية.

وتابع: ومن ناحية أخرى الوجود الإسلامي هو الوقود في كل هذه التجاذبات والصراعات، وعليه أن يقوّي دفاعاته ويبحث في مستقبله بكل جدية من أجل الانتقال إلى مرحلة التأثير والخروج من وضعية السلبية.

من جهته، تفاءل عابدين من كون ألمانيا لديها قصة نجاح حقيقية كدولة الهجرة، ونحن السياسيين استثمرنا قدراً كبيراً في برامج الاندماج، وبناء على ذلك شدد على أنه نحن – المسلمين ومواطني ألمانيا – بحاجة ماسة إلى التعريف بديننا على نحو أفضل، ونتحاور بكثافة ما إذا كان الإسلام ينتمي إلى ألمانيا، ومفهومنا بالطبع أن الإسلام ينتمي إلى ألمانيا.

وحول رسالته لمسلمي ألمانيا عبر «المجتمع»، شدد عابدين على أهمية الالتزام بقوانين البلاد، مؤكداً أن هذا من الإسلام «عندنا مبدأ إسلامي بأن المسلم الذي يعيش في دولة القانون، يجب عليه الالتزام بالقوانين والأنظمة المعمول بها في هذا البلد، فأي انتهاك للقانون هو انتهاك لمبادئ ديننا الإسلامي».■

بأقلامهم

المسابقة الألمانية الكبرى للقرآن الكريم لعام ٢٠١٧م

بقلم: الشيخ طه عامر
رئيس هيئة العلماء والدعاة بألمانيا

من ٧٦ مدينة ألمانية، ومن دول أوروبية عديدة، انطلقت وفود القرآن العظيم صوب مدينة بون الألمانية لتُجَسد مشهداً قرآنياً فريداً قَلّ نظيره في أوروبا، جاءت تلك الجموع التي اقتربت من ٤٠٠ متسابق نصفهم تحت ١٨عاماً، قطعوا مسافات بعيدة، واصلوا السفر بالليل والنهار، خالفوا مألوف عاداتهم في النوم والطعام والشراب، قاوموا الصوارف والشواغل حتى حطت بهم الرحال إلى مقر المسابقة بمسجد المهاجرين، من يوم الجمعة ٦ أكتوبر إلى الساعة السابعة مساء يوم الأحد ٨ أكتوبر الماضي حيث انتهى الحفل الختامي، عشنا مع القرآن العظيم ساعات من الجنة، فما ترى ولا تسمع في أروقة المسجد وقاعاته المتعددة إلا مشاهد حلقات القرآن للمراجعة والتثبت تهدر بالنور والهدى.

ما أسعدنا عندما نكون من أسباب تحقيق موعود الله تعالى بحفظ كتابه العزيز «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون».

وإلا فما الذي يدفع مئات الأطفال والشباب إلى بذل هذا الجهد لحفظ كلام الله رغم ما يواجهونه من صعوبات عديدة نظراً للبيئة الأوروبية، فاللغة التي يتحدثونها ويسمعونها غير العربية، والوقت المتاح لهم للحفظ والمراجعة قليل إذا ما قورن بالأطفال الذين يعيشون في بلاد عربية؟ إنه التعلق بالقرآن العظيم.

وعلى الرغم من كل تلك الصعوبات، فقد أذهلنا هذا العام فتية القرآن بإتقان التلاوة وجمال الأداء وعذوبة الصوت، وقد قال لي د. خالد بركات، ود. كمال قدة، وهما ممن يشاركون في التحكيم الدولي للمسابقات القرآنية: هؤلاء الشباب والأطفال حجة على المسلمين الذين يعيشون في البلاد العربية، ويسهل عليهم حفظ القرآن الكريم.

إن من أهم أهداف المسابقة المحافظة على تواتر القرآن الكريم، وأن تتمكن الأجيال الجديدة في ألمانيا وأوروبا من قراءته كما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما نرنو إلى تحقيق الكفاية من حفظة القرآن الذين يخدمون رسالته في واقع الوجود الإسلامي الألماني، ولا نريد أن نقصر اهتمامنا على الحفظ فقط، بل نعطي للفهم والتدبر أهميته ومكانته، ولهذا أضفنا فرعاً جديداً في مسابقة هذا العام وهو فرع التفسير في سور «النور»، «يوسف»، «الحجرات»؛ ليعيش الشاب مع القرآن ويستنبط آياته ما ينهض به عقلاً وروحاً وقلباً وسلوكاً.

هذا وقد فاز بالمركز الأول شاب في العشرين من عمره لأم ألمانية وأب عربي، وقد حفظ القرآن الكريم في مدينة كولن، وكذلك الفائز الأول في فرع ٢٠ جزءاً فتاة من مواليد ألمانيا، وكثير من المتسابقين تألقوا وأجادوا واستحقوا أعطر الثناء من جمهور المسلمين الذين ازدحم بهم أركان المسجد وقاعاته، وهذا نجاح كبير ورسالة مهمة لمسلمي ألمانيا في مدى إمكانية الجمع بين التفوق الدراسي وحفظ القرآن العظيم رغم حجم الصعوبات المتنوعة.

إن من أعظم المكاسب للمسابقة هذا العام هو إعلان أول مؤسسة متخصصة ترعى شؤون القرآن حفظاً وتلاوة وفهماً، وهي الهيئة الألمانية للقرآن الكريم التي يقوم عليها ثلة مباركة من الشباب أصحاب الكفاءة والتميز والنضج والوعي، ويسعدنا أن تكون مسابقة العام القادم كذلك برعايتها وتنظيمها، وندعو الله تعالى أن تكون أكثر تطوراً وتميزاً ونجاحاً.

الله نسأل أن يشرفنا بخدمة كتابه، ولا يحرمنا بركته وهداه في الدنيا، وأُنْسَه وشفاعته في الآخرة، إنه سميع مجيب.■

صرخة من غوطة دمشق:
لا نريد لقيمات أو دراهم.. نريد موقفاً سياسياً يكسر الحصار

كان اتفاق «خفض التصعيد» الذي أُبرم في القاهرة بين المعارضة السورية، في أواخر يوليو الماضي، وبالاً على أكثر من ٣٧٠ ألف مدني محاصر في غوطة دمشق الشرقية، بعد أن نكث النظام بالوعود، وغضّت روسيا (الضامن) الطرف عمّا ضمنت.

عمار حمو

سجلت الغوطة الشرقية عدة وفيات في صفوف الأطفال نتيجة نقص الغذاء والدواء، والعدد قابل للزيادة، إذ إن نحو ١٢٠٠ طفل يعاني من سوء التغذية الحاد، بحسب تصريح لـ«جولييت توم» الناطقة باسم «اليونيسف» لـ«BBC».

وفي حوادث متكررة، سجّلت مدارس الغوطة الشرقية حالات إغماء في صفوف الأطفال، وتبين أن بعض هؤلاء الطلبة لم يتناولوا طعاماً لما يزيد على ٢٤ ساعة، ويلاحظ مدرسون تواصلت معهم «المجتمع» ظاهرة إعياء واضحة وشروداً لدى الطلاب نتيجة الجوع.

حيث بلغ سعر ربطة الخبز (٨٠٠ جرام) ١٢٠٠ ليرة سورية (٢,٢٠ دولار)، وتخطى سعر كيلو السكر ٨٠٠٠ ليرة (١٦ دولاراً)، وكيلو الأرز ٤٢٠٠ ليرة (٨,٤٠ دولار)، وفُقد زيت الزيتون والنباتي من الأسواق، فيما يبلغ متوسط دخل الفرد في الغوطة الشرقية نحو ٧٥ دولاراً أمريكياً شهرياً.

الغوطة محاصرة منذ سبتمبر ٢٠١٢م، أي منذ تحريرها من نظام «الأسد»، وبلغ ذروته عام ٢٠١٤م، حيث سُجلت وفيات في صفوف المدنيين، وبلغت الحال بالمحاصرين أن يستخدموا علف الأبقار بديلاً عن الطحين في صناعة الخبز.

ولكن ما يزيد من شدّة الحصار أنه جاء مغايراً لما هو متوقع، فالمعارضة السورية وقّعت اتفاقاً مع الضامن الروسي في القاهرة يقضي بوقف إطلاق النار، وفتح المعبر الوحيد (معبر مخيم الوافدين) أمام الحركة الإغاثية والتجارية والمدنيين، والبنود جميعها لم تُطبق، فخرق وقف إطلاق النار بقصف حصد أرواح العشرات طوال فترة سريان الاتفاق، وأغلق المعبر الوحيد في وجه القوافل المحمّلة بالغذاء والدواء.

«الأسد يحاصر الغوطة» وسْمٌ انتشر على وسائل التواصل الاجتماعي مع عشرات الصور لأطفال أشبه ما يكونون بهياكل عظمية، وآلاف الرسائل الداعمة للمدنيين المحاصرين والمناهضين لنظام «الأسد»، ورافق النشاط الإعلامي حملات إغاثية لجمعيات محلية وإقليمية دعماً لصمود المحاصرين.

ولكن ثمّة مشكلة، فأبناء الغوطة لا يستجدون لقيمات أو دراهم معدودة تكفيهم اليوم وتنفد غداً، هم يطالبون بحقهم في الحياة، حقهم في الحصول على الغذاء والدواء الذي كفلته لهم الأمم المتحدة ضمن ميثاقها.

فقد كتب أبو الحسن الأندلسي: «من ظن أن أهالي الغوطة أرادوا من حملتهم التي تكشف خفايا الحصار المعونة المادية والصدقات فقد أخطأ الظن، أهالي الغوطة شعب قوي متمكن يريد الحياة ليقوى، ولينشط ويعمل».

وتأكيداً على كلمات الأندلسي، قال معروف أحمد، رجل ستيني محاصر لـ«المجتمع»: «أنا ربّ لأسرة مؤلفة من ١٨ فرداً، هم أولادي وزوجتي، وأحفادي لولدين من أبنائي استشهدا نتيجة قصف النظام، حاجتي من الخبز يومياً ربطتان على الأقل، وثمنهما ٢٤٠٠ ليرة سورية، ولو قُطع عني ما يصلني من مال من أحد أفراد العائلة في الخارج، وهو قليل بطبيعة الحال، لمتنا جوعاً».

وأردف أحمد: «القهر بالنسبة لي لا يتمثل في الحصار والجوع فحسب، وإنما عدم قدرتي على إيجاد عمل يكفيني سؤال الناس هو القهر بذاته، لم أعهد نفسي طوال سني عمري إلا منفقاً، ولكن الحصار أبدل حالنا ذلاً وقهراً».

وتساءل أحمد بتهكّم: «هل يعتقد السياسيون من المعارضة السورية أو الدول الصديقة للشعب السوري أننا نناشدهم لأجل طعام وشراب؟ نريد موقفاً سياسياً، واستخدام ورقة ضغط على روسيا الضامن والنظام القاتل ينهي الحصار».

ومن الواضح أن مطالبة المحاصرين للساسة والدول خوفاً من وقوعهم في مصيدة اتفاق يفضي إلى التهجير، كما حدث مع بلدة مضايا في ريف دمشق الغربي، حيث وقعت اتفاقاً بشروط مشابهة مع المفاوض الإيراني عام ٢٠١٥م، وكان اتفاق «وقف إطلاق النار» حينها بوابة لتهجير ثوار البلدة وإعادتها – بفعل الحصار والتجويع – إلى سيطرة النظام.■

المغرب: رئيس الحكومة يقدم حصيلة ١٢٠ يوماً وسط ملاحظات وانتقادات

الرباط: عبدالغني بلوط

قدمت حكومة د. سعد الدين العثماني، المنتمي لحزب العدالة والتنمية، حصيلة الأشهر الأربعة الأولى من عملها وسط ملاحظات وانتقادات من قبل بعض المتتبعين والمحللين السياسيين وتثمين البعض الآخر، وتميز تقديم هذه الحصيلة بقول العثماني: إن جهات - لم يسمها - تريد إظهار تناقضات الحكومة وإسقاطها، مبرزاً أنه يعول على العمل الجاد في الميدان وعلى الإنتاج والإنجاز، وعلى خدمة المواطن.

• د.سعد الدين العثماني

أكد سعد الدين العثماني، رئيس الوزراء المغربي، أن المغرب يعيش في محيط دولي وإقليمي فيه صعوبات متتالية، وكثير من الناس في بلدان أخرى يتمنون أن يكون عندهم جزء ولو قليل مما يعيشه المغرب، بفضل جهود مختلف فئات الشعب المغربي، وبفضل جهود جميع المغاربة وعلى رأسهم الملك محمد السادس، لتحقيق الاستقرار والأمن لهذا الوطن، والقدرة على الإصلاح وفتح المجال لبناته وأبنائه ليساهم الكل من موقعه في تنميته، على حد تعبيره.

وأبرز العثماني أن هذه الحكومة جاءت في سياق صعوبات المناخ العام على المستوى الدولي والإقليمي وكذا الوطني، ولذلك يجب ألا ننسى أنها جاءت في ظروف تأخرت فيها المصادقة على قانون المالية في البرلمان لأكثر من ستة شهور، وجاءت وهناك عدد من الورش ومنها مشاريع القوانين التي كانت في البرلمان جامدة، لأنها كانت تحتاج إلى حكومة تستطيع أن تدافع عنها كي تتم المصادقة عليها.

تحديات وإنجازات

وعاد العثماني ليظهر نتائج ما وقع من عرقلة تشكيل الحكومة في فترة تكليف عبدالإله بن كيران، الأمين العام لحزب العدالة والتنمية، لمدة ستة أشهر كاملة، مشيراً إلى أنه وجد وضعاً تطلب مضاعفة الجهود، وهو ما أخذ من الحكومة جزءاً مهماً من وقتها وجهدها كي تستدرك التأخر الذي كانت تعرفه الورش، وهو ما لم يكن ممكناً لولا تسلحنا بثقافة التوافق والتعاون من أجل المصلحة العليا للوطن وجعلها فوق كل اعتبار.

وفيما يرى العثماني أن حصيلة الحكومة إيجابية ومشرفة يعكسها التحسن الإيجابي للمؤشرات الاقتصادية، إضافة إلى مؤشرات وإنجازات اجتماعية غير مسبوقة، يبرز محمد بودن، المحلل السياسي ورئيس «مركز أطلس لتحليل المؤشرات السياسية والمؤسساتية»، أن حكومة العثماني لم تمر بعد من مرحلة الاختبار الأولي، مشيراً إلى أن التقييم رمزي.

وأشار بودن إلى أن اللحظات الصعبة التي سبقت تشكيل حكومة العثماني والارتباك الواضح الذي استتبع وجودها بحيث إن هذه الحكومة تزامنت ظرفية تشكيلها مع تحديات ماثلة أبرزها ملف الحسيمة.

وأكد أن حكومة العثماني كانت مطوقة بعدد من الرهانات والتحديات والظروف الضاغطة والعوامل المؤثرة، لعل أبرزها الوضع الداخلي في حزب العدالة والتنمية، لكن يمكن القول: إن حصيلة حكومة العثماني في الأشهر الأربعة الأولى متأرجحة وليست سلبية أو جيدة، على حد تعبيره.

العبرة ليست بالكيف

وفيما قدمت الحكومة ١٢٠ إجراء في ١٢٠ يوماً من عملها، يؤكد د. محمد الغالي، أستاذ العلوم السياسية بالجامعة المغربية، في تصريح لـ«المجتمع»، أن العبرة ليست بالكيف وليس بإحصاء عدد الإجراءات، لأن المهم هو تتبع الأثر الذي تخلفه هذه الإجراءات على المدى القصير، فالمتوسط ثم البعيد.

وأضاف: لا يختلف اثنان في كون التحليل النوعي لهذه الإجراءات خاصة في مجال إرساء الحكامة بين المواطنين بصفتهم العادية، أو كفاعلين سياسيين أو اقتصاديين والإدارات العمومية، هو مسألة أهم، لكن أكبر إشكال يعاني منه مسلسل السياسات العمومية

ليس في الأفكار بقدر من هو قادر على تحمل عبء التنفيذ والتفعيل، وعليه يمكن الجزم أن المغرب يعيش تخمة على مستوى الأفكار، وعجزاً بيّناً على مستوى الرجال الفاعلين في الميدان والمتحررين من مرض الانتظار الذي ميز الـ١٠٠ يوم التي تلت تشكيل الحكومة مع عدم القدرة على أخذ المبادرة بشكل مستقل في إطار قواعد مبدأ الفصل بين السلطات وربط المسؤولية بالمساءلة والمحاسبة.

إصلاحات الواجهة

في المقابل، عابت فرق المعارضة على الحكومة عدم استجابتها لانتظار المغاربة في القطاعات الاجتماعية، معتبرة الإجراءات التي أتت بها هذه الأخيرة بأنها إصلاحات الواجهة خاصة في مجال التعليم.

واعتبر ملاحظون أن الحصيلة في مجال التعليم تدل على تحول عميق للدولة في مجال التشغيل، إذ شغلت حوالي ٢٤ ألف مدرس بالتعاقد لمدة معينة وبدون تكوين، بدل التوظيف الرسمي.

ولاحظ هؤلاء أن حصيلة الحكومة تجاهلت أيضاً حراك مدينة الحسيمة (شمال المغرب) الذي هيمن على الساحة السياسية لمدة عشرة أشهر، وباتت مطالبه في توفير ظروف عيش ملائمة توصف بالمشروعة من قبل أعضاء في الحكومة نفسها.

لكن الوزير مصطفى الخلفي، الناطق باسم الحكومة، قال في تصريح لـ«المجتمع»: إن الإجراءات المتعلقة بإقليم الحسيمة لم يتم التطرق إليها ضمن الوثيقة التي أعدتها الحكومة بهذا الخصوص، بشكل منفصل، وإنما تم تضمينها ضمن مختلف الإجراءات التي أنجزت على مستوى القطاعات الحكومية، سواء تعلق الأمر بالتجهيز والنقل، أو الصحة أو التعليم، مشيراً إلى إعداد الحكومة، قبيل عرض حصيلة ١٢٠ يوماً لوثيقة خاصة بالمشاريع المنجزة، بإقليم الحسيمة، التي ما زالت في طور الإنجاز.

عدة محاور

وركزت الحكومة على عدة محاور، حسب الخلفي، هي تعزيز الإصلاح المؤسساتي، وإصلاح الحكامة والإدارة، وتشجيع الاستثمار ودعم المقاولة وخصوصاً المتوسطة والصغيرة الصغيرة جداً، علاوة على ذلك فقد أولت إلى منظومة التربية عناية خاصة، حيث أطلقت برنامجاً وطنياً شاملاً لتجهيز وتحديث المؤسسات التعليمية، لتعزيز إجراءات تيسير ظروف العمل سواء بالنسبة للأطر الإدارية أو التربوية، مع العمل على حل سريع لإشكالية الاكتظاظ في الأقسام بإطلاق عملية تشغيل واسعة في قطاع التربية الوطنية.

كما شكلت الصحة إحدى أولويات العمل الحكومي، حيث تم تدشين العمل بستة مستشفيات جديدة خلال شهري يوليو وأغسطس ٢٠١٧م، وبناء مستشفيات أخرى، والحكومة بصدد إعداد إطار قانوني يمكن من توفير الموارد البشرية الكافية في قطاع الصحة.

وبخصوص التشغيل، قال الخلفي: إن الحكومة أطلقت ورش تحيين الإستراتيجية الوطنية في مجال إنعاش الشغل، وصودق على البرنامج الوطني للتشغيل في اللجنة الوزارية المعنية، كما تم الشروع في اعتماد برامج وتعاقدات جهوية في اتجاه تفعيل دور الجهة، وذلك من خلال مقاربة التقائية وتشاركية، كما عملت الحكومة في مجال الحماية الاجتماعية والعدالة المجالية على إنجاز برنامج تقليص الفوارق الاجتماعية بالعالم القروي، حيث تم إرساء نظام خاص بحكامته وطنياً وجهوياً، واعتمد برنامج عمله لسنة ٢٠١٧، يوم ٢٨ يوليو ٢٠١٧م، كما تمت الموافقة على البرامج الجهوية لتقليص الفوارق المجالية والاجتماعية في العالم القروي ٢٠١٨ - ٢٠٢٣م.

العثماني: كثير من الناس في بلدان أخرى يتمنون أن يكون عندهم جزء ولو قليل مما يعيشه المغرب

بودن: حصيلة حكومة العثماني في أربعة أشهر «متأرجحة» وليست سلبية ولا جيدة

الغالي: المغرب يعيش تخمة على مستوى الأفكار وعجزاً على مستوى الرجال الفاعلين

الخلفي: الحكومة ركزت على تعزيز الإصلاح المؤسساتي والإدارة وتشجيع الاستثمار ودعم المقاولة

غياب ابن كيران

غاب عبدالإله بن كيران، الأمين العام لحزب العدالة والتنمية، عن لقاء الحصيلة، مكرساً وفاءه لقراره بمقاطعة اجتماعات الأغلبية الحكومية.

وذهب ملاحظون إلى القول: إن سلوك ابن كيران هو تعبير عن عدم رضاه عن إعفائه من رئاسة الحكومة، وتعيين سعد الدين العثماني بدلاً منه، كما يظهر الرجة التي تعرض لها حزب الإسلاميين في المغرب بعد ما سمي النكوص عن المسار الديمقراطي.

وشكل العثماني الحكومة مطلع أبريل الماضي عقب وصول محاولة تشكيلها من قبل ابن كيران إلى طريق مسدود في أعقاب الانتخابات التشريعية التي جرت في أكتوبر ٢٠١٦م، وكان حزب العدالة والتنمية الإسلامي الرابح الأكبر فيها.

ويشير هؤلاء إلى أن ابن كيران لا يستطيع التبرؤ من الحكومة ومن العثماني رفيقه في النضال، لكنه ضد حلفاء العثماني في الحكومة خاصة رئيس حزب التجمع الوطني للأحرار عزيز أخنوش، ورئيس حزب الاتحاد الاشتراكي إدريس لشكر، والذين تسببوا في عرقلته لتشكيله الحكومة للمرة الثانية على التوالي.■

عملية التجديد في «العدالة والتنمية» التركي

بعد ١٦ عاماً من الحكم المتواصل في تركيا، ومع اقتراب الانتخابات البلدية في مارس ٢٠١٩م، ثم الانتخابات الرئاسية والبرلمانية في نوفمبر من نفس العام حيث سيبدأ تطبيق النظام الرئاسي في البلاد، يخوض حزب العدالة والتنمية الحاكم ذو التوجه الإسلامي في تركيا عملية تجديد وتغيير وجوه شاملة استعداداً لتلك المرحلة المهمة والفارقة في تاريخ تركيا الحديث.

د. سعيد الحاج

الحزب يريد الذهاب للانتخابات الثلاثة المحورية عام ٢٠١٩م بتشكيلة من الأسماء الجديدة

منذ انتخابات عام ٢٠٠٢م التي أعقبت تأسيسه بأشهر معدودة، يتسيد حزب العدالة والتنمية المشهد السياسي في تركيا، منتصراً في كل المحطات الانتخابية التي خاضها منذ ذلك الوقت ما بين انتخابات بلدية ورئاسية وبرلمانية واستفتاءات شعبية، ومشكلاً حكومات متعاقبة بمفرده (باستثناء انتخابات يونيو ٢٠١٥م التي أعيدت بعد أشهر).

ولقصة النجاح المتواصلة هذه أسباب عدة في مقدمتها تراكم الإنجازات التي قدمها الحزب لتركيا على مدى سنوات حكمه في مختلف المجالات، وضعف أحزاب المعارضة المنافسة له.

لكن رغم ذلك، تبدو المرحلة الجديدة مع تطبيق النظام الرئاسي نهايات عام ٢٠١٩م مرحلة مختلفة تماماً ولها شروطها المستقلة والجديدة على الحياة السياسية التركية، ولذلك يبدو الحزب عازماً على الاستعداد لها على أكمل وجه، فالانتقال للنظام الرئاسي يعني الحاجة لنسبة ٥٠٪ زائد واحد من أصوات الناخبين، وهي نسبة أكبر قليلاً من رصيد الحزب حالياً، وهو ما يمكن اعتباره تحدياً جديداً، ولعل هذا أحد أهم أسباب التغيير التي يشير إليها الرئيس «أردوغان»، فالحزب يريد الذهاب للانتخابات الثلاثة المحورية عام ٢٠١٩م بتشكيلة من الأسماء الجديدة والنشيطة القادرة على العمل والإنجاز بسرعة وعلى إدارة الحملات الانتخابية وإقناع الشارع.

ومن الأسباب الرئيسة للتغيير أيضاً فترة الحكم الطويلة التي عادة ما يترافق معها نوع من الترهل والتباطؤ وتراجع الأداء، وهو ما يسميه «أردوغان» «الصدأ» أو «التعب»، كما أنه من المعروف في عالم السياسة أن الأحزاب التي تحكم طويلاً تتراجع شعبيتها بشكل عام سيما إذا ترافق ذلك مع تراجع الأداء، ولعل ذلك من أسباب تراجع نسبة التصويت للحزب في انتخابات يونيو ٢٠١٥م البرلمانية التي فقد فيها العدالة والتنمية الأغلبية

البرلمانية؛ وبالتالي القدرة على تشكيل الحكومة منفرداً، وكانت أول التنبيهات للحزب على ضرورة التغيير، وهو ما حصل في انتخابات الإعادة.

ويبدو أن التغيير بات مطلباً شعبياً وحزبياً، حيث تشير مصادر العدالة والتنمية إلى أن طيفاً مهماً من الشعب ومن كوادر الحزب تريد التغيير - على مستوى الأسماء وبعض السياسات - كما يظهر في بعض استطلاعات الرأي والاجتماعات والنقاشات الحزبية الداخلية، وبالتالي يصبح التغيير والتجدد تجاوباً مع مطلب شعبي، ما يعطيه أهمية أكبر.

ولعل من أسباب التغيير أيضاً نتائج الاستفتاء الشعبي على التعديل الدستوري في أبريل الماضي التي كانت أقل من توقعات الحزب بطبيعة الحال خصوصاً في بعض المدن الكبرى، وبالتالي كان قرار التغيير في هذه المدن أكثر إلحاحاً بالنسبة للحزب ورئيسه، بناء على تقييم بأن نسبة التصويت تراجعت بسبب الغضب من هؤلاء الأشخاص (قيادات الحزب والبرلمانيين ورؤساء البلديات)، أو سوء أدائهم أو تكاسلهم خلال الحملة الانتخابية، إضافة لبعض الأسباب الخاصة ببعض الأسماء دون غيرها.

مجالات التغيير

يبدو أن حزب العدالة والتنمية مقبل على عملية تغيير واسعة جداً، بل بدأها فعلاً وقطع فيها شوطاً غيرَ بسيط، ويبدو أن عودة الرئيس «أردوغان» لرئاسة الحزب بعد التعديل الدستوري الذي سمح بذلك كان شارة البدء بعملية التغيير الواسعة، التي تحتاج بطبيعة الحال لقيادة قوية ومُجمَع عليها مثل «أردوغان».

أول خطوات التغيير أتت في مؤتمر الحزب العام الذي أعاد «أردوغان» رئيساً له في مايو الماضي، وكانت في التشكيلة القيادية الجديدة للحزب على مستوى هيئة اتخاذ القرار واللجنة المركزية فيه (MKYK) ولجنته التنفيذية (MYK)، حيث وصل التغيير نسبة ٤٠٪ مع اهتمام واضح بنسبة النساء والشباب في المواقع القيادية.

موجة التغيير الثانية طالت الحكومة، حيث شمل التعديل الوزاري في يوليو الماضي انضمام خمسة وزراء جدد للحكومة وتغيير حقيبة ستة آخرين، ووجود وزيرتين في الحكومة لأول مرة منذ فترة طويلة مع تولي السيدة «جوليدا أر أوغلو» لوزارة العمل والضمان الاجتماعي لأول مرة منذ ٢٦ عاماً، إضافة لوزيرة العائلة والسياسات الاجتماعية «فاطمة بتول صايان كايا».

المجال الثالث للتغيير كان بين رؤساء البلديات من أعضاء العدالة والتنمية، حيث استقال حتى كتابة هذه السطور ثلاثة، أبرزهم رئيس بلدية إسطنبول الكبرى «قدير طوبباش»، إضافة لثلاثة آخرين من المحتمل تقديمهم استقالاتهم بناء على طلب «أردوغان والحزب، أهمهم رئيس بلدية أنقرة الكبرى «مليح جوتشاك»، بينما تتحدث التسريبات الإعلامية عن عدد أكبر من ذلك بكثير في بلديات أقل أهمية سيأتي دورهم تباعاً.

ولعل أحد أهم مجالات التغيير وتجديد الدماء قياداتُ فروع الحزب في مختلف المحافظات والمدن والبلدات وحتى القرى، حيث بدأت عملية تجديد واسعة عبر مؤتمرات الحزب على تلك المستويات التي ينتظر أن تستكمل قراراتها وتبديل قيادات جزء مهم منها مع نهايات عام ٢٠١٧ وبدايات ٢٠١٨م، ولربما أمكننا اعتبار استقالات بعض السياسيين لأسباب مختلفة جزءاً من عملية التغيير، مثل استقالة مستشار رئيس الحزب «شعبان ديشلي» في ١٩ أكتوبر الماضي.

نتائج التغيير

وفق الكثير من التقييمات المطلعة على كواليس حزب العدالة والتنمية، يخطط الأخير لأن يكون ٢٠١٧ عامَ التغيير واستكمال كل ما سبق ذكره من عملية التجديد، و٢٠١٨م عامَ الإنجازات وإنهاء بعض المشاريع المهمة، ليكون ٢٠١٩م عامَ حصد النتائج في الانتخابات البلدية أولاً (مارس)، ثم الرئاسية والبرلمانية المتزامنة (نوفمبر).

ولذا، فمن الصعب الحكم على نتائج عملية التغيير الواسعة هذه قبل الانتخابات في عام ٢٠١٩م، بيد أن الحزب يراهن بالتأكيد على تقييمات إيجابية لها من خلال وضعها في سياق التجاوب مع الرأي العام إن كان على صعيد الشعب أو قواعد الحزب، رغم ما في الأمر من مخاطر ومحاذير مثل عدم رضا بعض الأشخاص والدوائر عن عملية التغيير التي أطاحت وربما تطيح بأسماء مهمة داخل دوائر الحزب.

بيد أن ثمة مؤشرات ستكون تحت نظر «أردوغان» والحزب بطبيعة الحال لتقييم المسار قبل الوصول لمحطة الانتخابات، وهي استطلاعات الرأي التي يهتم بها الحزب كثيراً منذ تأسيسه، التي على الرغم من عدم دقة أغلبها فإنها مفيدة إذا ما استؤنِسَ بنتائجها في تقييم عام لمجمل المسار، وهي استطلاعات ستكون ممكنة في الفترة المقبلة بعد قطع عملية التغيير والتجديد مسافة مقبولة ومؤثرة، بينما تبقى المحطات الانتخابية الثلاث عام ٢٠١٩م هي الفيصل والحكم على هذه العملية.■

تراجع نسبة التصويت للحزب في انتخابات يونيو ٢٠١٥م البرلمانية أول التنبيهات له على ضرورة التغيير

عودة «أردوغان» لرئاسة الحزب بعد التعديل الدستوري كان شارة البدء بعملية التغيير الواسعة

من مظاهر التغيير أن التعديل الوزاري في يوليو شهد انضمام ٥ وزراء جدد وتغيير ٦ آخرين

الحزب يخطط لأن يكون ٢٠١٧ عامَ التغيير و٢٠١٨ عامَ الإنجازات و٢٠١٩ عامَ حصد النتائج في الانتخابات

أمين جمعية «علماء تركستان الشرقية» لـ«المجتمع»:

بلادنا تتحول إلى «أندلس» جديدة والمسلمون في صمت!

يئن المسلمون في تركستان الشرقية تحت وطأة الاحتلال الصيني منذ عام ١٩٤٩م، وسط مساع صينية حثيثة لتجريف كل ما هو إسلامي وسلخ أهالي تركستان من هويتها الإسلامية الراسخة لمئات السنين، بل و«تصيينها».

وللتعرف على مسلمي تركستان الشرقية والقمع الصيني بحقهم وما يعانونه من حرمان في أبسط حقوق الإنسان كالتعليم والصحة واحترام المعتقدات، وحتى لا يصبح هذا البلد المسلم كبلاد الأندلس، كان لـ«المجتمع» هذا الحوار مع د. عبدالوارث عبدالخالق، الأمين العام لجمعية علماء مسلمي تركستان الشرقية.

أجرى الحوار: محمد سرحان

مسلمو تركستان من قوميات مختلفة أغلبها العرق التركي مثل الأويجور والتركمان والقازاق والأوزبك والطاجيك والتتار

لم تهدأ ثورات المسلمين طوال ١٠٠ عام ضد محاولات «تصيين» تركستان الشرقية حتى استقلوا عام ١٩٨٥م

● بداية، لو تقدم لنا نبذة عن تاريخ تركستان؟

– تركستان كلمة تتكون من مقطعين «ترك» و«ستان»، بمعنى «أرض الترك»، وتاريخياً تركستان تنقسم إلى قسمين؛ تركستان الغربية وتركستان الشرقية، وكما هو معروف فإن تركستان الغربية هي تلك الأرض التي استقلت عن الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٩٠م وانقسمت إلى جمهوريات أوزبكستان، تركمنستان، أذربيجان، طاجكستان، قرغيزستان، كازاخستان، وأما تركستان الشرقية فهي لا تزال تحت استعمار الصين، وتعرف باسم مقاطعة شينجيانج باللغة الصينية، وتعني الوطن الجديد أو المستعمرة الجديدة.

تبلغ مساحة تركستان الشرقية حوالي ١,٨ مليون كم، أي خُمس مساحة الصين، ويزيد عدد سكانها على ٣٥ مليون نسمة من المسلمين الأصليين غير الصينيين الذين هاجروا إلى هناك من داخل الصين خلال العقود الماضية، ويحدها من الشمال الغربي ثلاث جمهوريات إسلامية؛ هي كازاخستان، وقرغيزستان، وطاجيكستان، ومن الجنوب: أفغانستان، وباكستان، ومن الشرق أقاليم التبت الصينية، بالإضافة إلى الصين ومنغوليا الشعبية.

ويتكون سكانها المسلمون من قوميات مختلفة، أغلبها من العرق التركي مثل الأويجور وهم يشكلون غالبية البلاد والتركمان، والقازاق، والأوزبك، والطاجيك، والتتار.

● كيف ومتى وصل الإسلام إلى تركستان؟

– ما أن فرغ الفاتح العظيم قتيبة بن مسلم من توطيد أركان الإسلام في تركستان الغربية حتى بادر إلى تركستان الشرقية، ففتح بعضها، ومرت السنوات حتى آتت الدعوة والاتصال الحضاري بين الإسلام والحضارات الأخرى أكلها، فتحول التركستانيون إلى الإسلام تحت قيادة زعيمهم ستوق بغراخان خاقان، رئيس الإمبراطورية القراخانية عام ٣٢٣هـ/ ٩٤٣م، فأسلم معه أكثر من ٢٠٠ ألف خيمة (عائلة)؛ أي ما يقارب مليون نسمة تقريباً، وقد ضربت النقود باسم هارون بوغراخان، حفيد ستوق بغراخان، ووسع رقعة مملكته فشملت أجزاء من تركستان الغربية، كما ارتقت البلاد في عهده في النواحي الحضارية المختلفة، وكتبت اللغة التركستانية واللهجة الأويجورية بالحرف العربي لأول مرة، وكانت أوقاف المدارس تشكل خمس الأرض الزراعية، ولقب هارون بوغراخان بلقب «شهاب الدولة».

● كيف سيطرت الصين على تركستان الشرقية؟

– لم تتوقف المحاولات الصينية لاحتلال تركستان، فقد استولى الصينيون عليها سنة ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م بعد أن ضعف أمر المسلمين بها، وقتلت القوات الصينية وقتها مليون مسلم، وألغى الصينيون

نظام البكوات الذي كان قائماً بها، ووحدوا أقسام تركستان في ولاية واحدة، كما اتبعت الصين سياسة استيطانية في تركستان الشرقية، أو ما يسمى بـ«تصيين» تركستان الشرقية؛ عن طريق نقل كتل بشرية صينية إليها؛ فقام المسلمون بثورات عنيفة، منها ثورة «جنقخ» سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م، واستمرت سنتين، ولم تهدأ ثورات المسلمين طوال مائة عام، وكذلك كانت هناك ثورة سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م، استمرت عشرين عاماً، بقيادة يعقوب بك، وقد تمكن بعدها مسلمو تركستان الشرقية من الاستقلال سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م، وذلك أثناء الصراع مع أسرة مانشو، إلى أن تم احتلالها مرة أخرى سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م.

وتعرضت تركستان الشرقية لأربع غزوات صينية منذ عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م؛ مرتين في عهد أسرة مانشو، ومرة في عهد الصين الوطنية، ومرة في عهد الصين الشيوعية؛ وقد أدت هذه الثورات والمذابح الصينية إلى إبادة كثير من المسلمين وحدوث عدة هجرات من هذا الإقليم إلى المناطق المجاورة.

وفي عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م، قامت ثورة عارمة في تركستان الشرقية لم يستطع الصينيون حتى بمساعدة الروس إخمادها، وانتقلت هذه الثورة إلى مختلف مدنها، وسيطر المسلمون على مدن شانشان، وطرفان، واقتربوا من أورومجي، إلى أن أعلن قيام حكومة كاشغر الإسلامية، ثم تبعها إعلان تأسيس جمهورية تركستان الشرقية الإسلامية في ٢١ رجب ١٣٥٢هـ/ ١٢ نوفمبر ١٩٣٣م، وقد اختير خوجانياز رئيساً للدولة، وثابت داملا رئيساً لمجلس الوزراء، إلى أن استولى الصينيون على هذه الدولة وأعدموا أكثر من ١٠ آلاف مسلم، بمساعدة الروس.

في عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م قامت ثورة إسلامية أخرى بقيادة علي خان الذي أعلن استقلال البلاد، غير أن روسيا والصين تعاونتا على إحباط هذا الاستقلال، وقام الروس وعملاؤهم باختطاف قائد الثورة، إلى أن حصلت تركستان الشرقية على الاستقلال الذاتي سنة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م، وتم تعيين مسعود صبري رئيساً للحكومة، إلا أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وفي عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، اجتاحت القوات الصينية الشيوعية هذه المنطقة واحتلتها.

الصين عمدت إلى سلخ بلادنا من هويتها الإسلامية فجعلت المسلمين يعيشون في معسكرات السخرة

تركستان تعرضت لأربع غزوات صينية منذ عام ١٨٦٠م أدت إلى إبادة كثير من المسلمين ونزوحهم من الإقليم

● منذ الاحتلال الصيني، كيف تغير وجه تركستان الإسلامي؟

- عمدت الصين إلى سلخ بلادنا من هويتها الإسلامية، فجعلت المسلمين يعيشون في معسكرات السخرة وعلى أطراف القرى، مقابل إغراق مقاطعة شينجيانج (تركستان الشرقية) بملايين الصينيين غير المسلمين، تحت شعار «اذهب إلى الغرب أيها الشاب»، ولهذا بدأ التذويب السكاني الصيني يهدد بنية المدن الإسلامية كمدينة كاشغر التي عرفت لمكانتها باسم «بخارى الصغرى»، كما يمنح الصينيون إعفاءات ضريبية شاملة، مع توفير المساكن والأراضي التي يتم مصادرتها من المسلمين وطردهم إلى المناطق القاحلة، حتى تحول أصحاب متاجر مسلمون إلى مجرد باعة متجولين أو طباخين يبيعون الأطعمة في الأزقة.

وقد اعتبر الصينيون أن الإسلام خروج على القانون، ومنعوا السفر خارج البلاد أو دخول أي أجنبي إليها، وألغوا المؤسسات الدينية وهدموا أبنيتها، واتخذوا المساجد أندية لجنودهم، واستبدلوا بالتاريخ الإسلامي تعاليم «ماوتسي تونج».

كما أكد تقرير منظمة العفو الدولية، الصادر في أبريل ١٩٩٩م، أن الحكم الصيني يمارس سياسة التمييز العنصري في التوظيف ضد المسلمين؛ لأن العدد الساحق من العمال في حقول النفط والمشروعات هم من الصينيين.

أضف إلى ذلك تعمد الصين إجراء تجاربها النووية في منطقة لوب منذ عام ١٩٦٤م؛ ما أدى إلى انتشار الأمراض والإجهاض وتشوه المواليد، ناهيك عن الممارسات الجائرة مثل منع رفع الأذان وتحريفه، والزواج المختلط بين المسلمين والبوذيين.

● ماذا عن التعليم؟ كيف كان؟ وكيف أصبح تحت الاحتلال؟

– حرمان المسلمين من موارد بلادهم وحرمانهم من حقهم في التوظيف جعل أغلبهم فقراء، وبالتالي غير قادرين على تعليم أبنائهم فضلاً عن فرض التعليم باللغة الصينية لكافة المواد الدراسية، وتجريم التعليم الإسلامي حتى تعليم الأطفال أمور دينهم، وهو ما يضطر كثيراً من الأسر أو أهالي قرية إلى التكاتف لإرسال أحد أبنائهم للدراسة الشرعية بالخارج حتى يأتي ليعلم الناس أمور دينهم، وهو ما أصبح مجرّماً أيضاً.

حرمان المسلمين من موارد بلادهم ومن حقهم في التوظيف جعل أغلبهم فقراء

هناك دول مسلمة تتضامن مع الصين لمكافحة ما يسمونه بـ«الأصولية الإسلامية»!

حسب العفو الدولية فالحكم الصيني يمارس سياسة التمييز العنصري في التوظيف ضد المسلمين

● ما أسوأ القوانين وإجراءات التضييق الصيني على مسلمي تركستان؟

– منذ الاحتلال، والصين اتخذت آلاف الإجراءات سواء تحت ذرائع قانونية أو غير قانونية، مثل: حملة تحديد النسل وجعلها مسؤولية القيادات المحلية، بل وقتل الجنين الذي تحمل فيه أمه بعد عدد المواليد المسموح به، وحسب ما أورده مركز تركستان الشرقية للمعلومات في ألمانيا؛ فقد اقتيدت ٢٨ سيدة أويجورية في ٢٠ يونيو ٢٠٠٠م إلى مركز تحديد النسل في بلدة فيزاوات بولاية كاشغر، حيث أجريت لهن عملية إجهاض واستؤصلت أرحامهن، وتوفي على الفور نتيجة لذلك ٧ سيدات.

كما بلغ مجموع النساء اللاتي تم عقمهن خلال عام ١٩٩١م في بلدة قارقاش وحدها ١٨٧٦٥ سيدة، وهذا الرقم يشكل نصف السيدات في سن الإنجاب في تلك البلدة، كما تم إجراء عمليات إجهاض إجبارية لـ٨٦٥ سيدة خلال عام ١٩٩٢م في بلدة توقسو وحدها، وقد أصيبت ٩٠٪ من تلك السيدات بالمرض أو الجنون نتيجة لذلك، كما توفيت ١٧ سيدة خلال ٣ أشهر بعد العمليات.

أضف إلى ذلك منع الشباب من ارتياد المساجد، ومنع التعليم الإسلامي ومراقبة الهواتف إجبارياً، ومنع النكاح الشرعي، واعتقال عشرات الآلاف.

● ما دور المؤسسات التركستانية في الخارج ودوركم في اتحاد العلماء؟

– المؤسسات والجمعيات التركستانية في الخارج تعمل على توصيل صوت مسلمي تركستان الشرقية إلى العالم للالتفات إلى مأساتهم، بالإضافة إلى مساعدة أبناء تركستان على مواصلة تعليمهم الإسلامي وغيره والتواصل مع الجهات المعنية حول العالم فيما يخص قضيتنا، بالإضافة إلى إبراز الحقائق التاريخية حول احتلال تركستان وكشف جرائم الاحتلال الصيني بحق المسلمين هناك.

● هل هناك تحركات دولية على مستوى الدول أو المنظمات تنتصر لقضيتكم؟

– للأسف لم يقف العالم الإسلامي إلى جانب المسلمين الأويجور حتى الآن لوقف آلام إخوانهم، بل إن دولاً إسلامية مثل كازاخستان، وقرغيزستان، وطاجكستان، وأوزبكستان، تتضامن مع الصين لمكافحة ما يسمونه بـ«الأصولية الإسلامية»، وأكبر دليل على ذلك يتمثل في مجموعة «شنغهاي» التي تضم الدول الإسلامية الأربع، إضافة إلى الصين وروسيا، وعقدت عدة اتفاقيات تعمل على إعادة اللاجئين الأويجور بالقوة إلى بلادهم، وهو ما يمثل انتهاكاً لمعاهدة الأمم المتحدة للاجئين، وفي غمرة عكوف العالم كله على الحرب الأمريكية ضد الإرهاب تضيع قضية المسلمين في تركستان الشرقية وسط الزحام منشغلين بالإرهاب الذي تعرّفه أمريكا وفق رؤيتها، ومتناسين الإرهاب الذي يحدث ضد مسلمي تركستان الشرقية، أخشى ألا يفيق المسلمون لمأساة إخوانهم قبل فوات الأوان، وقد أصبحت تركستان الشرقية المسلمة كبلاد الأندلس!■

ترتيبات رئاسة تونس تنطلق من ألمانيا

تونس: عبدالباقي خليفة

تجري منذ فترة مساجلات على مواقع التواصل الاجتماعي وبعض وسائل الإعلام محورها المقعد الشاغر في البرلمان التونسي عن دائرة ألمانيا، الذي يسعى حافظ قايد السبسي، نجل الرئيس، لملئه رغم أنه من غير المقيمين بألمانيا.

يسمح القانون التونسي لأي مواطن بالترشح في أي جهة يشاء، وهناك أطراف محسوبة على الثورة تسعى بدورها لما يصفونه بقطع الطريق على نجل الرئيس، ويلتقون في ذلك ضمنياً مع أطراف محسوبة على الثورة المضادة والمعارضة، من بينها الجبهة الشعبية والتيار الديمقراطي، وجانب من الطيف السياسي الرافض لتولي حافظ قايد السبسي زعامة حزب النداء الذي شكله والده، فضلاً عن خلافته في الرئاسة.

تهيئة الأجواء لانتقال السلطة من الباجي إلى حافظ قايد السبسي بشكل مضمون وبسلاسة ووفق الآليات الديمقراطية والدستور والقانون اقتضت تكليف النائب عن دائرة ألمانيا بمهام وكيل وزارة ليصبح المقعد شاغراً، ويدخل حافظ قايد السبسي في منافسة انتخابية ويفوز به بدعم من حزب حركة النهضة الحزب الذي ينتمي إليه أغلب الناخبين في ألمانيا، وقد أثبتت جميع المحطات الانتخابية الماضية ذلك سواء البرلمانية منها أو الرئاسية.

المقعد في حد ذاته لا يمثل شيئاً لا للنهضة التي تمتلك ٦٨ مقعداً ولا النداء الذي يزيد عدد مقاعده عن الخمسين، لكنه مهم جداً لحافظ قايد السبسي، رغم أن حزبه يهيمن على الرئاسة ممثلة في والده، ورئاسة الحكومة، ورئاسة البرلمان، فهذا المقعد هو من سيجعل حافظ قايد السبسي في طريق مفتوح نحو الرئاسة.

فعندما يصبح عضواً في البرلمان، يمكنه تولي رئاسته بترشيح كتلة الحزب له، وعندما يصبح رئيساً للبرلمان خلفاً لمحمد ناصر، الرئيس الحالي لمجلس نواب الشعب، بسبب مرضه، أو عدم رغبته، أو ميله لبعض الأحزاب المنشقة، كما يقال، يكون مؤهلاً لخلافة أبيه.

حزب حركة النهضة وعلى لسان بعض قياديه أفادوا بأنهم مع ترشح حافظ قايد السبسي لمقعد ألمانيا، ورئاسة البرلمان، وحتى رئاسة الجمهورية، ومبررهم في ذلك أنه أفضل الشخصيات التي يمكن العمل معها، وأكثر الأطراف تفهماً لمواقفها داخل الساحة السياسية، وهو ضد الإقصاء الذي تمارسه وتسعى لممارسته بعض الأطراف ولا سيما اليسار الانتهازي.

وحافظ قايد السبسي هو من القلائل المحسوبين على النظام السابق الذين غيروا مواقفهم من النهضة وقبلوا العمل وتقاسم السلطة والنفوذ معها داخل البلاد في وقت لا تزال مؤسسات الدولة وحتى بعض الدوائر الشعبية المسكونة بالدعاية الاستبدادية الدكتاتورية محكومة بالأفكار المسبقة عن الحركة، ولا تزال نهباً للإشاعات المغرضة، والأكاذيب التي تطالها وتطال قيادتها ومناضليها.

ولم يسلم الموقف داخل الحركة من بعض التجاذبات، فهناك من القيادات من يرفض ترك الحبل على الغارب لحافظ قايد السبسي، والدخول في منافسة على مقعد ألمانيا، والدخول في منافسة كاملة في كل المحطات الانتخابية القادمة سواء البلدية أو البرلمانية والرئاسية لا سيما وأن الزخم الشعبي الذي تم حشده في انتخابات ٢٠١٤ لصالح النداء كان على خلفية الوعود التي لم يتحقق الكثير منها إن تحقق منها شيء يذكر، ولا شك وفق هؤلاء أن ذلك الزخم فقد قوته وبريقه ولم يعد كما كان بعد انفلات عقد حزب النداء.

الساحة التونسية

لا يزال الوضع السياسي في تونس يبحث عن مستقر، وسط تجاذبات وتحالفات جديدة في الساحة، وإرهاصات ظهور أحزاب أخرى سواء بالدمج أو تغيير الأسماء أو تشكيل أحزاب جديدة، كالحزب الذي تحدث عنه

• حافظ السبسي

السياسي المخضرم نجيب الشابي، أو الحزب «اليساري» الذي أعلن عن قرب تشكيله النقابي السابق عبيد البريكي الذي شغل حقيبة الوظيفة العمومية في حكومة يوسف الشاهد الأولى، فضلاً عن التقارب الملاحظ بين «التيار الديمقراطي» أحد الأضلع المنشقة عن حزب المؤتمر الذي كان يقوده منصف المرزوقي.

وهذه الأحزاب وإن اختلفت في التفاصيل إلا أنها تعتبر نفسها معنية بطريقة أو أخرى لمواجهة ما يطلقون عليه «الأسلمة» في تونس، وبعض هذه الأحزاب ولا سيما اليسار الاستئصالي وبعض بقايا النظام السابق لا ترغب في رؤية حزب النهضة في الحكم، بل في الحياة السياسية، بل لا يرغبون في رؤية المظاهر الإسلامية في الشارع، وبعضها ضد الكتاتيب القرآنية، وضد المساجد، وضد من يتولى حقيبة وزارية وهو يصلي، وقد شاهدنا ذلك في رفضهم تحفيظ القرآن في المدارس أثناء العطلة الصيفية، ورفض بعض المعلمات لطالباتها في المدارس، ونقد أحد الوزراء السابقين الذي شوهد وهو يخرج من المسجد كما ذكر أحدهم في معرض الاعتراض على تسميته وزيراً.

وساحة في مثل هذا الوضع، ومؤسسات لا تزال مترعة بالأفكار المسبقة والانتماء السياسي، يكون المتعامل معها كمن يمشي فوق حقول ألغام، وهذا ما تستشعره النهضة.■

«البيتكوين».. رؤية إسلامية

بقلم: د. أشرف دوابه

فرضت النقود الإلكترونية نفسها في ساحة الاقتصاد العالمي، ولم تشغل فقط الدول الغربية، بل تشابكت وتعددت الأسئلة عنها في الدول الإسلامية لا سيما فيما يتعلق بالحكم الشرعي للتعامل بها، وكذلك في ظل ما أثارته عملة «البيتكوين» (Bitcoin) من إشكاليات وتساؤلات.

هي نقود غير ملموسة تأخذ صورة وحدات إلكترونية وتستخدم في عمليات البيع والشراء والتحويل

بداية؛ البيتكوين أو النقود الإلكترونية هي عبارة عن نقود غير ملموسة، تأخذ صورة وحدات إلكترونية وتخزن في مكان آمن على «الهارد ديسك» لجهاز الكمبيوتر الخاص بالعميل يعرف باسم «المحفظة الإلكترونية»، ويمكن للعميل أن يستخدم هذه المحفظة في إتمام عمليات البيع أو الشراء والتحويل وخلافه.

وتعتمد فكرة النقد الرقمي على قيام العميل (المشتري) بشراء عملات إلكترونية من البنك الذي يقوم بإصدارها، ويتم تحميل هذه العملات على الحاسب الخاص بالمشتري، وتكون في صورة وحدات عملة صغيرة القيمة، ولكل وحدة رقم خاص أو علامة خاصة من البنك المصدر، وبالتالي تعمل هذه العملات الإلكترونية محل العملات العادية، وتكون بنفس القيمة المحددة عليها وتسمى «Tokens».

وعند قيام المستخدم بالشراء من بائع يتعامل بالعملات الإلكترونية يقوم المشتري باختيار السلع ومعرفة أسعارها، ثم يقوم بإصدار أمر عن طريق الكمبيوتر بدفع قيمة مشترياته باستخدام العملات الإلكترونية المسجلة على الحاسب الخاص به.

ويتم نقل العملات الإلكترونية Tokens من خلال البنك المُصدر لها الذي يقوم بالتأكد من صلاحية العملات وعدم تزييفها أو نسخها ويقوم بتحميلها على الحاسب الخاص بالبائع، ويظهر لدى البائع زيادة في قيمة النقدية بالمبلغ الذي تمت إضافته مقابل شراء الأصناف المحددة في طلب شراء المشتري.

ويمكن للبائع تحويل العملات الإلكترونية المتاحة لديه إلى عملات حقيقية من خلال البنك المصدر.

أنواع «البيتكوين»

ويوجد نوعان أساسيان من النقود الإلكترونية:

١- النقود الإلكترونية الاسمية: حيث تحتوي وحدة النقد الإلكتروني على معلومات تتعلق بهوية كل الأشخاص الذين تداولوها، وهي في هذا تشابه بطاقات الائتمان حيث يستطيع البنك أن يقتفي أثر وحدة النقد التي أصدرها أثناء تداولها.

٢- النقود الإلكترونية غير الاسمية: حيث يتم تداول وحدة النقد دون الإفصاح عن حاملها إلا إذا حاول شخص ما أن ينفقها أكثر من مرة واحدة.

وأيضاً هناك نوعان من عمليات تداول النقود الإلكترونية:

النوع الأول: عمليات تتدخل فيها البنوك؛ حيث تتطلب عملية تداول وحدة النقد الإلكتروني بين طرفين أن يتدخل البنك المصدر لاعتمادها أو تعزيز إصدارها، ويعرف هذا النوع باسم: On-Line E. Cash.

النوع الثاني: عمليات تعرف باسم Off-Line E.Cash؛ حيث يتم تداول وحدات النقد الإلكتروني بين الأطراف المختلفة دون تدخل البنوك، وهي تشبه في هذا عمليات تداول النقد العادي.

وهذا النوع الثاني برز منه «البيتكوين» كعملة إلكترونية افتراضية يديرها مستخدموها بحيث تحقق مبدأ «الند للند».

وتتكون عملة «البيتكوين» من عنوان رقمي مربوط بمحفظة إلكترونية، وكل «بيتكوين» مقسم لمائة مليون وحدة تسمى «ساتوشي»، وعند شراء السلعة بـ«بيتكوين» واحد فإنه يتحول بضغطة زر إلى محفظة البائع التي تمثل تطبيقاً إلكترونياً، وإذا أراد شخص ما تحويل قيمة معينة من «البيتكوين» إلى شخص آخر؛ فإنه يستخدم ما يسمى بالتوقيع الرقمي الذي يحتوي على رسالة التحويل، والرقم الخاص بـ«البيتكوين»، والعنوان المعلن للشخص الذي سيستلم «البيتكوين»، وعندما يتم تحويل «بيتكوين» إلى محفظة أخرى فإن التحويل يذهب إلى شبكة «البيتكوين» ويدخل في عملية التأكد ويتم حفظه في سلسلة

البلوكات (Blockchain)،

وقد ظهر «البيتكوين» في بحث عن العملات المشفرة أصدره تقني مجهول لقب نفسه بـ«ساتوشي ناكاموتي»، وتم طرح «البيتكوين» للتداول في عام ٢٠٠٩م بقيمة ٠,٠٠٠١ دولار، وارتفع في منتصف عام ٢٠١١م إلى ٣٥ دولاراً، ووصل في بداية عام ٢٠١٧م إلى ١٠٠٠ دولار، ثم تصاعد «البيتكوين» بشكل سريع حتى وصل إلى نحو ٦٠٥٥ دولاراً في ٢١ أكتوبر الماضي.

ومن المتعارف عليه اقتصادياً أن البشرية عرفت من النظم النقدية ما هو سلعي وما هو ائتماني، وقد بدأت النظم النقدية السلعية بالمقايضة فالنقود السلعية فالنقود المعدنية ثم النقود النائبة التي كانت تنوب عن الذهب والفضة في التبادل وتصرف بهما عند الطلب، أما النظم النقدية الائتمانية فهي نظم لا تستمد فيها النقود قيمتها من ذاتها، ولكن من قبول الأفراد في معاملاتهم لها؛ لذا فطبيعة المادة المصنوعة منها النقود الائتمانية ليس لها اعتبار، والسمة الأساسية لها هي انقطاع صلتها كنقد عن قيمتها السلعية؛ فهي أقل منها بكثير، والنقود الائتمانية لا اعتراض عليها ابتداء في الإسلام ما دامت تتسم باحتفاظها بالقوة الشرائية ولا تستخدم مصدراً للإيراد.

رؤية إسلامية

إن نظرة الإسلام للنقود بصفة عامة تتفق مع ما جاء في تعريفها الاقتصادي الذي يركز فيه الاقتصاديون على وظائف النقود متجاوزين تعريفها بسلطة الإصدار أو المكون الذاتي لها، حيث تعرف النقود بأنها: أي شيء يلقى قبولاً عاماً كوسيط للتبادل، ويصلح في الوقت ذاته مقياساً للقيم وحفظ الثروة وتسوية الديون والالتزامات.

وقد فطن العديد من الفقهاء المسلمين لوظائف النقود الأساسية من كونها مقياساً للقيم، ووسيطاً للتبادل، ومستودعاً للقيمة، ومعياراً للمدفوعات الآجلة، قبل أن يهتدي إليها الفكر الاقتصادي التقليدي، وتناولوها في كتبهم بالبيان والتوضيح، ومنهم الإمام الغزالي، والكاساني، وابن الهمام، وابن العربي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن خلدون.. وغيرهم.

لذا فإن الطبيعة السلعية للنقود من كونها ذهباً أو ورقاً أو خلاف ذلك ليست محل اعتبار ما دامت تؤدي وظائفها بصورة شرعية، وقد همّ الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه باتخاذ الدراهم من جلود الإبل، وما منعه من ذلك إلا خشيته على البعير من الانقراض.

وها هو ابن تيمية يعكس المنظور الإسلامي للنقود بقوله: «وأما الدرهم والدينار فما يعرف له حد طبعي ولا شرعي، بل مرجعه إلى العادة والاصطلاح، وذلك لأنه في الأصل لا يتعلق المقصود به، بل الغرض أن يكون معياراً لما يتعاملون به، والدراهم والدنانير لا تقصد لنفسها بل هي وسيلة إلى التعامل بها، ولهذا كانت أثماناً بخلاف سائر الأموال، فإن المقصود الانتفاع بها نفسها، فلهذا كانت مقدرة بالأمور الطبعية أو الشرعية، والوسيلة المحضة الذي لا يتعلق بها غرض لا بمادتها ولا بصورتها يحصل بها المقصود كيفما كانت».

فالعبرة شرعاً بقيام النقود بوظائفها بأن يتاجر بها باعتبارها وسيطاً للتبادل لا المتاجرة فيها وتحويلها إلى سلعة والخروج بها عن وظائفها.

وبالنظر إلى العملات الإلكترونية التي تدخل البنوك لاعتمادها أو تعزيز إصدارها، نجد أنها لا غرر فيها أو جهالة، وتستمد قبولها العام من قوة القوانين المنظمة لها، وهذا لا غبار عليه من الناحية الشرعية مادام يتم في تداولها مراعاة قواعد التعامل الشرعي بالتماثل والتقابض ولو حكمياً عند اتحاد الجنس، والتقابض ولو حكمياً دون التماثل عند اختلاف الجنس.

أما غير ذلك من العملات الإلكترونية التي لا دخل للبنوك فيها ومنها عملة «البيتكوين» نجد أن فيها غرراً وجهالة بمن يصدرها ومن ثم بالجهة التي تضمن إصدارها، كما أنها تفتقد للقبول العام، وغلبت عليها المضاربات، فأصبح تحرك سعرها يتسم بالتذبذب والمغالاة، وتحولت إلى كونها مصدراً للإيراد ووسيلة لغسل الأموال، وأصبح من الصعوبة اعتبارها مستودعاً للقيمة، ومعياراً للمدفوعات الآجلة، وهو ما لا يتفق مع القواعد والمقاصد الاقتصادية الإسلامية.

لذا؛ فإن قبول عملة «البيتكوين» إسلامياً - حتى لو تحققت في تداولها قواعد التعامل الشرعي - مرهون برفع الغرر والجهالة عنها من خلال معرفة الجهة التي تصدرها وقدرتها على ضمان الإصدار، وكذلك تحقيق القبول العام لها، وتوافر عوامل الأمان فيها بصورة تمنع تبخرها من حسابات مستخدميها بحواسبهم الشخصية وضياع حقوقهم، والمتاجرة بها لا فيها، وهو ما لا يتوافر في وضعها الحالي بصورة تجعلها خدعة كما وصفها «جيمي ديمون»، الرئيس التنفيذي لبنك «جي بي مورجان»، والله تعالى أعلم.■

مأثورات اقتصادية

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف» (متفق عليه).■

مفاهيم اقتصادية

المضاربة المشتركة

هي المضاربة التي يعهد فيها مستثمرون عديدون معاً أو بالتعاقب إلى شخص طبيعي أو معنوي، باستثمار أموالهم، ويطلق له غالباً الاستثمار بما يراه محققاً للمصلحة، وقد يقيد بنوع خاص من الاستثمار، مع الإذن له صراحة أو ضمناً بخلط أموالهم بعضها ببعض، أو بماله، وموافقته أحياناً على سحب أموالهم كلياً أو جزئياً عند الحاجة بشروط معينة.

ومشروعية المضاربة المشتركة مبنية على ما قرره الفقهاء من جواز تعدد أرباب الأموال، وجواز اشتراك المضارب معهم في رأس المال، وإنها لا تخرج عن صور المضاربة المشروعة في حال الالتزام فيها بالضوابط الشرعية المقررة للمضاربة، مع مراعاة ما تتطلبه طبيعة الاشتراك فيها بما لا يخرجها عن المقتضى الشرعي.■

أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق، فقال تعالى في شأنه (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ {١٠٧}) (الأنبياء)، ووصف النبي ﷺ رسالته فقال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»[1]، وقد أتم الله الدين وبلغ النبي الرسالة فصار المسلمون كما وصفهم ربهم (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) (آل عمران: ١١٠).. وقد كانت سيرة النبي محمد ﷺ هي أعظم قصة نجاح بشري، حتى عدَّه «مايكل هارت» أعظم عظماء العالم؛ لأنه الوحيد في التاريخ الذي نجح على المستوى الديني والدنيوي معاً، وكان تاريخ المسلمين أقوم تواريخ الأمم وإن كان تاريخ بشر غير معصومين.

اليهود بين أمة الإسلام والأمم الأخرى (١)

محمد الهامي
باحث مصري في التاريخ والحضارة الإسلامية

اليهود لم يتعرضوا لاضطهاد مخصوص في التاريخ الإسلامي لكونهم يهوداً

سيرة النبي أعظم قصة نجاح بشري وتاريخ المسلمين أقوم تواريخ الأمم

أحد المؤرخين الصهاينة: العرب في كل مكان وزمان كانوا يعاشرون اليهود على الإخلاص وحسن النية

المسلمون تركوا لأهل الديانات الأخرى بيوت عبادتهم وكهنتهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى

في هذا المقال – والمقالات القادمة إن شاء الله تعالى – نتناول وجهاً من وجوه إثبات عظمة هذه الرسالة وخيرية هذه الأمة، وهي مسألة تاريخ اليهود في ظلال الإسلام، لنرى كيف تعامل المسلمون مع قوم وصفهم القرآن الكريم بأنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، ومع هذا أمرهم بالعدل معهم والإحسان إليهم وحرّم عليهم ظلمهم واضطهادهم.

وسيبدو الأمر أكثر بروزاً إذا ما قورن حال اليهود في ظل الإسلام والمسلمين بحالهم في ظل غيره من الدول والأمم.

وقد اخترنا أن نسلك في هذا البحث مسلكاً صعباً، لكنه أبلغ حجة، إذ سنعرض لتاريخ اليهود في ظل الإسلام من خلال أقوال المستشرقين والمؤرخين الغربيين وحسب، ومن بين هؤلاء جملة من المتعصبين بل ومن اليهود والصهاينة أنفسهم، فيكون هذا من نوع (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) (يوسف: ٢٦).

وقد سرنا في النقل هنا على هذا المنهج:

١- شمل النقل مستشرقين وغربيين من شتى الاتجاهات والعصور، لكن الذي يجمعهم أن أحداً منهم لم يدخل في الإسلام، وأن هذه المواد كلها كُتِبَتْ في زمان استضعاف المسلمين وسيادة الاستعمار (منذ القرن التاسع عشر حتى الآن)؛ مما لا يمكن اتهامها بالنفاق أو التزلف، ثم إنها جميعاً كُتِبَتْ في الأصل للغربيين فلا مجال فيها للمحاباة أو التجمل، وذلك ليكون أبلغ في الحجة.

٢- اكتفينا من النقل بموقع الشاهد من البحث ولم نعلق على شيء إلا في أحيان نادرة للغاية، وتركنا التعليق سواء أوافقنا المستشرق فيما قال أم خالفناه أم كان ثمة تحفظ، إذ لا يتسع المقام لمناقشة عميقة للرأي

المفصل للمستشرق، والمقام هنا مقام إلزام بالحجة لا مقام تدقيق تاريخي في الوقائع وتحليلها.

٣- أكثر المستشرقين بخيل في الإنصاف، فسرعان ما يلحق قوله بالاستثناء والاستدراك، أو أنه يصوغ عبارته من الأصل بحيث لا تؤدي معنى الإنصاف بوضوح، إلا أن حقائق التاريخ كانت أثبت من محاولاتهم، فنقلنا ما في كلامهم من اعتراف بهذه الحقائق إذ هو مقصود البحث، وتركنا مناقشة أساليبهم في التشغيب على الحقيقة لدراسة قادمة أكثر توسعاً وتفصيلاً إن شاء الله.

٤- أثبتنا هنا ما كان فيه اليهود عبر التاريخ الإسلامي من سعة وحسن حال، بصرف النظر عما إن كانت السلطة تفعل هذا تنفيذاً لأوامر الإسلام أم تجاوزاً لها، إذ المقام هنا تاريخي لا شرعي، فكثيراً ما بزغ نجم اليهود في بعض الأحقاب حتى تسلطوا على المسلمين وبلغوا ما لا يجوز لهم شرعاً من المكانة، وتسببوا في أزمات وتوترات اجتماعية، فذكرنا في هذه الدراسة ذلك ولم نعلق على الأمر بحكم الشرع فيه.

٥- والقصد من هذا البحث كله إثبات أن اليهود لم يتعرضوا لاضطهاد مخصوص في التاريخ الإسلامي لكونهم يهوداً، ولم تمنعهم يهوديتهم من تولي الوظائف أو ممارسة الأنشطة أو الاقتراب من السلاطين.

٦- اخترنا في العرض الأحقاب الكبرى في التاريخ الإسلامي؛ الراشدي والأموي والعباسي والعثماني، مع إلقاء ضوء على المغرب والأندلس، واخترنا من النقولات ما كان عاماً على ما كان مفصلاً أو جزئياً، وأدرجنا ما كان في دول صغيرة ضمن هذه الأحقاب الكبيرة طبقاً لما يسمح به المقام.

المقارنة الكاشفة

قال اليهودي الصهيوني المصري إيلي ليفي أبو عسل في كتابه «يقظة العالم اليهودي» الذي هو بمثابة الدعاية للمشروع الصهيوني مُقراً بالحقيقة التاريخية: «لسنا نَعجب إذا رأينا ذلك التسامح النبيل الذي تجلى من جانب العرب المسلمين نحو اليهود، ولسنا ندهش له، لأننا نرى له سبباً طبيعياً وجنوحاً غريزياً إليه، فهو مظهر من مظاهر الميل الفطري والعنصري لائتلاف طباعهم، وتلاؤم أميالهم ونزعاتهم، فكان العرب في كل مكان وزمان يعاشرون اليهود معاشرة قائمة على الإخلاص وحسن النية، ويجري اليهود معهم على منهج وفيّ قويم لا شائبة فيه ولا دنس، لذلك قلما كان يجد اليهود عطفاً شريفاً يضارع عطف العرب عليهم لدى الأمم الأخرى.

فإذن ليس بعجيب إذا اندمج هذان العنصران، لأنهما خلقا من جوهر واحد، ونزلا من سلالة واحدة وهي سلالة إبراهيم عليه السلام.. قضى ناموس الارتقاء وتنازع البقاء والانتخاب الطبيعي بشد أزر القوي وسحق الضعيف، ولما كان اليهود في كل مكان لم يُؤلفوا إلا أقليات ضئيلة، فكان طبيعياً أن وجودهم والحالة هذه لم يكن قائماً على عوامل سياسية أو طبيعية، بل على روح تسامح الأهلين المتاخمين لهم»[٢].

وذات الحقيقة يقررها المؤرخ «الإسرائيلي» المعروف صموئيل أتينجر، وهو أستاذ للتاريخ اليهودي بالجامعة العربية في القدس، فيقول: «عاش يهود المشرق الإسلامي على مدى ما يقرب من ألف ومائتي عام تحت حكم الإسلام، وأطلق عليهم طيلة هذه الفترة اسم «أهل الذمة»، وكان يحق لهم ممارسة شعائرهم الدينية في مقابل الجزية التي كانوا يدفعونها للسلطات التي كانت تتولى حماية ممتلكاتهم، واتسمت علاقة اليهود بالمجتمع المحيط بهم بقدر كبير من الاستقرار، ولكننا نستثني بالطبع بعض الحالات التي تعرض اليهود فيها لبعض المضايقات، وكان وضع يهود الشرق أفضل بكثير من وضع يهود أوروبا الذين اضطهدوا لأسباب سياسية واقتصادية ودينية، فكثيراً ما كانوا يُطردون من البلدان التي أقاموا فيها، في حين لم يتعرض يهود بلدان الشرق لنفس المصير»[٣].

ومن سينظر إلى التاريخ سيجد، كما يقول المستشرق الألماني المعروف آدم متز، أن «أكبر فرق بين الإمبراطورية الإسلامية وأوروبا التي كانت كلها على المسيحية في العصور الوسطى وجود عدد هائل من أهل الديانات الأخرى بين المسلمين»[٤].

وما كان ذلك ليوجد لولا كلمة (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة: ٢٥٦)، كما تفسر المستشرقة الألمانية الشهيرة زيجريد هونكه، التي تضيف: «وبناء على ذلك؛ فإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها، سُمح لهم جميعاً دون أي عائق بممارسة شعائر دينهم، وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أوليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال؟ ومتى؟ ومن ذا الذي لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ وبعد فظائع الإسبان واضطهادات اليهود؟»[٥].

والخلاصة، كما يجملها المستشرق وعالم الاجتماع الفرنسي الشهير جوستاف لوبون، هي أن «مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة إلى الغاية، وأنه لم يَقُلْ بمثلها مؤسسو الأديان التي ظهرت قبله كاليهودية والنصرانية على الخصوص، وسنرى كيف سار خلفاؤه على سُنّته، وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوروبا المرتابون أو المؤمنون القليلون الذين أمعنوا النظر في تاريخ العرب»[٦].

في المقال القادم إن شاء الله نبدأ باستعراض أحوال اليهود في عهود التاريخ الإسلامي، فالله المستعان.■

الهوامش

(١) أحمد (٨٩٥٢) والحاكم (٤٢٢١) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني (السلسة الصحيحة ٤٥).

(٢) إيلي ليفي أبو عسل، يقظة العالم اليهودي، (القاهرة: دار الفضيلة، بدون تاريخ)، ص٩٦، ٩٧.

(٣) صموئيل أتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، ترجمة: د. جمال أحمد الرفاعي، مراجعة: د. رشا عبد الله الشامي، سلسلة عالم المعرفة ١٩٧، (الكويت: المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب، مايو ٢٠٠١م)، ص٤٥.

(٤) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٣ (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٧م)، ١/٧٥.

(٥) زيجريد هونكه، شمس الله تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، ط١٠ (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٢م)، ص٣٦٤.

(٦) جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م)، ص١٢٨.

ما زال المسافر سائراً في طريقه لم يتوقف بعد في محطته الأخيرة، أتراه الآن يقطع الفيافي وصحاري الحياة وهي تلفحه بلهيبها وحرها ودوَّاماتها واتساعها، فيبحث فيها عن دليل يهديه وينقذه من هذا التيه والضلال؟ أم أنه يمخر بسفينة عُمره بحار دنياه تتجاذبه فيها لجج الفتن المظلمات وتتقاذفه أمواج المعاصي العاتيات فيطل برأسه طالباً النور باحثاً عن النجاة؟

أم تراه يشق عباب السحاب بطائرة أمانيه الفانية التي يضيق صدره فيها وهو يصَّعد في سماء الشهوات والملذات، وهي لا سقف لها إلا أن يربط حزام السلامة ويسلك طريق النجاة، حيث يتحتم عليه الوقوف فيه مع كل نَفَس من أنفاسه؛ للتزود بالزاد والاستشفاء بالدواء حتى يتسع صدره ويذهب ضيقه؛ فيمشي بإيمان ويصل بأمان؟!

محطات إيمانية في طريق التربية (٩)

الذِّكرُ المحفوظ.. الهُدَى والنور

إيمان مغازي الشرقاوي

لا تعجب ولا تتعجب، فكلنا هو هذا المسافر الغريب، الذي يحيا في هذه الحياة الدنيا تتجاذبه بزينتها ولهوها ولعبها، وتحيطه بفتنتها وفِتَنها وبهرجها، وتنغصه بمِحنها ومَصائبها وابتلاءاتها، يتنقل فيها من حال إلى حال، صبر وجزع.. أفراح وأتراح.. راحة وتعب.. عسر ويسر.. شدة ورخاء.. عز وذل.. ثبات وزيغ، إلا من رحم الله، والكل يحُثّ الخُطى فيها يبحث في سفره عن سبيل الحياة المرضية، وينشد السعادة الأبدية، ويبغي العز الدائم، ويتمنى الخلود السرمدي، وقد بين الله لنا الطريق إلى ذلك كله في كتابه الكريم، الذكر المحفوظ، والهدى والنور، السبيل الحقيقي إلى النعيم الخالد الذي يسعى إليه الجميع على تفاوت فيما بيننا في الأخذ بأسبابه.

الذكر المحفوظ

روى الإمام مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا إنّ ربي أمرني أن أُعلّمكم ما جهلتم مما علّمني يومي هذا، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلتُ عليك كتاباً لا يغسله الماءُ، تقرؤه نائماً ويقظانَ..»، قال النووي: «لا يغسله الماء» فمعناه محفوظ في الصدور، لا يتطرق إليه الذهاب، بل يبقى على مر الأزمان، وأما قوله تعالى: «تقرؤه نائماً ويقظان»، فقال العلماء: معناه يكون محفوظاً لك في حالتي النوم واليقظة، وقيل: تقرؤه في يسر وسهولة[1].

إنه القرآن الكريم، كتاب الله تعالى وكلامه، المحفوظ في السطور والصدور، هذا الكتاب العظيم الخالد، الذي أنار الله بهديه القلوب وحرر به العقول، ومدحه ونفى عنه أي ريب أو شك، فقال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾(البقرة)، هو سبيل النجاة وطوق الحياة، حيث أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الضلالة إلى الهداية، فكان خاتم الكتب، ناسخاً لما قبله منها ومهيمناً عليها، إذ أنزل على خاتم الرسل محمد ﷺ وكُتب له الحفظ والخلود، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾(الحجر)؛ أي: «لحافظون من كل ما يقدح فيه، كالتحريف والتبديل، والزيادة والنقصان والتناقض والاختلاف، ولحافظون له بالإعجاز، فلا يقدر أحد على معارضته أو الإتيان بسورة من مثله»[2].

حين أكتب عن الذكر المحفوظ والمعجزة الخالدة، تتملكني الرهبة والخوف، فماذا أكتب؟ وماذا أقول؟ وأنّى لي أن أكتب أو أتحدث عن كتاب هو كلام الله عز وجل، جعله هدى لعباده يهتدون ببيانه ويسترشدون بإرشاده، وموعظة حسنة تلين القلوب وتأسر النفوس وتأخذ بمجامعها، ونوراً ينير لهم طريق سفرهم في رحلة الحياة ببيان سبيل الخير من الشر، والحلال من الحرام، وبيان سبيل المتقين لسلوكه والثبات عليه؟ بل كيف أخطّ حروفي لتتحدث عن كتاب الشفاء والرحمة لكل من يؤمن به ويعمل بما فيه، فينعم بقلب سليم،

وبدن صحيح، وقد قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾) (يونس)؟

وهل تستطيع أناملي الضعيفة أن تصف كتاباً قد جعله الله فرقاناً بين الحق والباطل والنور والظلمة، وذكراً فيه من المواعظ والتحذير وأخبار الأمم الماضية، ووصفه بالبركة والعلو والحكمة، فهو أحسن الحديث، وهو النبأ العظيم، وهو المهيمن على ما سبقه من كتب، قال الإمام ابن كثير: «جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها، وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة»[٢].

ذكرٌ محفوظ

لقد حفظ الله القرآن الكريم منذ أنزله، فاستودعه قلب نبيه ﷺ وقال له: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾)(القيامة)، قال الإمام الطبري: «يقول تعالى ذكره: إن علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد حتى نثبته فيه، «وقرآنه» حتى تقرأه بعد أن جمعناه في صدرك»[٤].

وجعل الله تعالى من أبي بكر الصديق، وعثمان بن عفان رضي الله عنهما سبباً في حفظ هذا القرآن، فكان أن جمعت آياته في مصحف واحد، وصارت بعيدة المنال عن التحريف والتبديل فجزاهما الله خيراً، بل ولم ينته زمن الحفظ بعد، فلقد يسر الله سبل الحفظ لذكره، وذلك إلى يوم الدين؛ فسخر له القلوب المحبة التي حفظت كل حرف فيه وكل مد وكل حركة، وألفوا الكتب التي تخدمه تلاوة وتجويداً وحفظاً وتفسيراً وتدبراً، بل وإعراباً وأحكاماً وفقهاً وعبادة وكل ما يتعلق به حتى لا يساء فهمه أو يبدل أو يحرف، فصار له محبون وأهلون في كل قطر من أقطار الأمة الإسلامية، بذلوا أعمارهم في الذود عنه والحفاظ عليه وتعليمه لكل من يريد الخيرية، حتى حفظه الصغير والكبير كما أنزل غضاً طرياً.

فهل فكرتَ يوماً في هذا الحفظ المعجز، وتفكرت في حكمته ودلالته؟ أليس في هذا الحفظ رسالة لي ولك ولكل إنسان تدلنا على عظمة هذا القرآن وعلى إعجازه وصدقه؟ أوليس في حفظه دلالة على أنه يَصلح لكل زمان ويناسب كل عصر ويُصلح كل مكان إذا ما قام المؤمنون بواجبهم تجاهه؟ أولا يشير حفظه إلى صدق رسول الله ﷺ ويدعونا إلى التمسك به والاعتصام بحبله والسير على صراطه والعمل به؟ أفلا يدفعنا ذلك إلى تعلمه وتعليمه وحفظه وتدبره والتعريف به والدعوة إليه، وعدم مخالفته؟

إن مسؤوليتنا تجاه هذا القرآن الكريم وقد حفظه الله لنا أن نلازمه حتى الممات، فيكون دليلنا إلى الله ومرشدنا إلى الحق ومنهجنا في رحلة الحياة ومحطة سفرنا التي نوشك أن نصل إليها، وهذا يتطلب منا أن نعرف أنه لا صلاح لحالنا إلا به، وألا نردد ما يقوله بعض من جهلوا قدره وحقه فقالوا: إن الزمان قد تغير تغيراً يحتاج حذف بعض نصوصه أو تفسيرها بما يناسب الأهواء والمصالح، وغفلوا عن قوله تعالى: (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾)(يونس)، فهو «حكيم فيما يشتمل عليه من الأوامر والنواهي والأخبار، فليس فيه حكم مخالف للحكمة والعدل والميزان»[٥]، حكيم: «لما يحوي الحكمة بما فيه من صلاح أحوال النفوس والقوانين المقيّمة لنظام الأمة»[٦].

أثره في التربية

إن من شبّ على حب القرآن وتعظيمه والعمل به فاز وأفلح، وهنيئاً لكل والد ووالدة كان القرآن هو المنهج لهما في التربية لأنفسهما أولاً ثم لأولادهما، فغرسا في نفوس الأولاد حب العمل بالقرآن والتعلق بتعلمه وتلاوته وحفظه، وتدبره، والتحاكم إليه والنزول عند حكمه، والرضا به والتسليم له، وما أعظم أن يكون القرآن هو الحكم في خلافات الأسرة التي لا تسلم منها فيما بين الزوجين بعضهما بعضاً، وفيما بين الوالدين وأولادهما، أو الأولاد بعضهم بعضاً!

ما أعظم أن تتحجب الابنة حين تعلم أن الله هو من أمرها بالحجاب في القرآن فقال: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ)(الأحزاب: ٥٩)! وليس الأمر من أمها أو أبيها، ومثل الحجاب أداء العبادات حيث الأمر بها في كتاب الله وتفصيلها في السُّنة النبوية المبينة لها، أما الأخلاق فقد أفاض القرآن الكريم في ذكرها وحث على التخلق بها، ومن ذلك قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾)(النحل).

ومن أصول التربية في القرآن الكريم طاعة الله ورسوله ﷺ، قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً ﴿٣٦﴾) (الأحزاب)، إن الحب الحقيقي للقرآن إنما يكون باتخاذه المنهج والدليل والقاضي والحَكَم والشاهد والناصح في أحوالنا المختلفة التي نحتاج فيها لكل ذلك، على مستوى الأفراد والأسر والمجتمعات.

ذلكم هو القرآن الكريم: «كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، فلا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه»[٧]. ■

الحب الحقيقي للقرآن إنما يكون باتخاذه المنهج والدليل والحَكَم والناصح في كل أحوالنا

جعله الله هدى لعباده يهتدون ببيانه ويسترشدون به وموعظة حسنة

مسؤوليتنا تجاه القرآن أن نلازمه حتى الممات فيكون دليلنا إلى الله ومرشدنا إلى الحق

الهوامش

(١) شرح النووي على صحيح مسلم.
(٢) تفسير الوسيط لطنطاوي.
(٣) انظر تفسير ابن كثير، سورة المائدة، الآية ٤٨.
(٤) تفسير الطبري.
(٥) تفسير السعدي.
(٦) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور.
(٧) الموافقات للشاطبي - موقع الدرر السنية.

الوَهْن المُفضي إلى التلاشي الحضاري

رَاهنُ البحث العلمي نموذجاً

د. مصطفى أحمد قنبر
باحث في علوم اللغة - قطر

خطوة جريئة اتخذتها إحدى الجامعات الأردنية مؤخراً، حين أقدمت على تفعيل مواد اللوائح الداخلية بها بفصل ٥٢ أستاذاً مساعداً من العمل لديها بسبب التقاعس في البحث العلمي، وقد وصل الأمر بهؤلاء أنهم لم يقدموا أبحاثاً ودراسات لمدة ٨ أعوام ولا حتى لغايات الترقية، ومن المفارقات أن بعض الأساتذة وصلت مدة عدم ترقيته بسبب غياب أبحاثه إلى ١٦ عاماً؛ ما يكشف عن حجم التراجع الكبير في مؤسسات التعليم العالي.

لكنّ يبدو أن هذا ليس حال الجامعات الأردنية فقط، ذلك أن الكثير من المقالات والتقارير العربية - ناهيك عن الدولية - تنحي باللائمة على أوضاع البحث العلمي في الجامعات العربية تمويلاً وجودة وتطبيقاً في الكم والكيف؛ الأمر الذي أخرج معظم الجامعات العربية من التصنيفات الدولية لمستويات الجودة في التعليم الجامعي، أو وضعها في مستويات متدنية في سلم تصنيفات أُخر.

ومن هذه التصنيفات تصنيف جامعة «جياو تونج» الصينية في شنغهاي للعام ٢٠١٥م، والذي ضمّ ٥٠٠ جامعة، وخرجت نتائجه لتؤكد تصدُّر الجامعات الأمريكية للجامعات العالمية، تلتها الجامعات البريطانية، لكن الأمر الذي كان لافتاً في هذا التصنيف هو ورود اسم جامعة الملك سعود السعودية وحيدةً ضمن المائة جامعة الأولى في التصنيف.

أستاذ برتبة مدرس!

ولا عجب - والحال هكذا - أن تجد بعض الأساتذة ما زال على رتبة «مدرس/ أستاذ مساعد» منذ حصوله على الدكتوراه منذ ربع قرن أو يزيد! أو على درجة «أستاذ مساعد/ مشارك» وليس له من إنتاج علمي يُذكر، وربما أنجز بعض النزر اليسير من البحوث لكنه بأي حال لا يضاهي إنتاج أقرانه في الرتبة العلمية، بل إننا نجد كثيراً من تلاميذه قد فاقه في الرتبة والإنتاج، وقد أحيل بعض هؤلاء الأساتذة إلى التقاعد وهم على هذه الرتبة، ولم تمسسهم الجامعة بسوءٍ أو حتى وجهت لهم لوماً يوماً ما، كل ذلك في غياب أي موانع صحية كانت سبباً في هذا السبات العميق.

والعجيب أن بعضاً من هؤلاء الباحثين ما إن تتح لهم فرص العمل في جامعات أوروبا وأمريكا حتى تدب في أوصالهم الحركة والنشاط ويتميزون بشكل منقطع النظير!

فلا عيب إذن في هذا الباحث أو ذاك، إنما العيب يكمن في النظم واللوائح التي تحكم العمل عندنا، فالذي أتيح له أن يعمل في الجامعات الغربية يعلم تماماً أنه لا محاباة في تطبيق النظم الجامعية، وأنه إن حاد عن الجادة سيكون مصيره خارج أسوار الجامعة، وربما لا يمكنه العمل في أي جامعة أخرى؛ فلن تبخل عليه الجامعة التي طرد منها من أن تسطر له في شهادة سير وسلوك تهاونه في أداء ما كُلف به، وعدم قيامه بمقتضيات العمل في السلك الجامعي، وعلى رأسها البحث العلمي.

مشرف غير متخصص

أما عن الإشراف العلمي على الأطروحات الجامعية من ماجستير ودكتوراه، ومناقشاتها فحدّث ولا حرج، إذ في بعضها العجب العجاب! فقد تجد من يشرف على رسالة علمية وهي بعيدة كل البعد عن تخصصه، وآخر يشارك في مناقشات رسائل بعيدة كثيراً عن تخصصه الدقيق، بل وعن تخصصه العام! وهناك شواهد على ذلك لا تخطئها العين ليست في حالة واحدة بل في حالات، وقد التقطتُ بعضها من السير الذاتية المنشورة للأساتذة في المواقع الإلكترونية للجامعات التي ينتمون إليها، وكأننا نعيش - بمفردنا - في عصر لم يعرف بعد التخصصات! وكأن الجامعات عقمت أن تخرج متخصصين، أو تفتقر إلى وجودهم.. لا وألف لا، ولكنّ للمسألة حسابات أخرى تختلط فيها الأوراق، وتخرّب فيها الذمم، وتباع بسببها الضمائر، ويطغى السياسي على العلمي، وتداس بالأحذية كل أخلاقيات البحث العلمي.

بعض الأساتذة ما زال مدرساً منذ ربع قرن لانعدام نتاجه البحثي!

في الجامعات الغربية لا محاباة في النظم الجامعية ومن يخالفها يُطرد

وللمتابع لهذه الأوضاع المتردية أن يتساءل: لِمَ يلجأ الأساتذة في الأقسام العلمية إلى ذلك؟ وأي جُرم يجنيه هؤلاء على البحث العلمي؟ وإلى أي مكانة يذهب ذلك باسم الجامعة وكلياتها وأقسامها وخريجيها؟ وما ذنب الطالب المسكين الذي لا يملك من أمره رداً عندما يُعهد به لغيرٍ متخصص من الأساتذة إشرافاً على بحثه؟ وأي إضافة للبحث العلمي يستطيع المشرف غير المتخصص أن يقدمها؟ وأي مسارات بحثية يمكن للمشرف غير المتخصص أن يرشد هذا الطالب إليها؟ ولماذا – أصلاً – كل هذا؟ ومن يقف وراءه؟ أهو لهث وراء العائد المادي، أم هي المجاملات والمحسوبيات؟ إن الأمثلة الواقعية على ذلك كثيرة ومتنوعة ومؤلمة، ويمكن متابعتها في أخبار مواقع الجامعات التي – ربما – لا تكذب ولا تتجمل، ناهيك عن التجارب الشخصية لمن يعملون في الجامعات، أو من كانوا باحثين فيها.

وجها العملة

وإذا كان البحث العلمي وتخريج الكفاءات البشرية المدربة هما وجهي الجامعة في أي مجتمع توجد فيه، فإن الأمر يختلف في مجتمعاتنا العربية، ذلك أن العناية القصوى والأهم تركز على الثاني وهو التخريج، لكنْ ليس لكفاءات بشرية علمية مدربة، فكثيراً ما نسمع عن هؤلاء الخريجين الذين لا تحتاجهم أسواق العمل ومن ثم فلا بد من التدريب وإعادة التأهيل حتى يمكن لهؤلاء أن يلتحقوا بتلك السوق، هذا إن لم تكن قد أصبحت كاسدة أو أغلقت بابها باكراً، وكثيراً ما نسمع من هؤلاء وغيرهم من يردد: إن ما دُرّس في الجامعة شيء والواقع العملي شيء آخر.

أما البحث العلمي فإلى وقت ليس ببعيد لم نكن نسمع عن مراكز بحثية ملحقة بالكليات أو الجامعات، وكان النشاط البحثي يقوم به عضو هيئة التدريس بغرض الترقية، ولا تسألَنّ بعد ذلك عن تطبيقاتها على أرض الواقع، ولئن سألت عن علل المعوقات في هذا لأتتك أسبابها تترى لعل من أبرزها التمويل، الناتج عن الميزانيات الهزيلة المخصصة للجامعات عامة والبحث العلمي خاصة.

أذكر أن أحد المعاهد العلمية والبحثية العربية التي أُنشئت بغرض استقطاب النابهين من الطلاب العرب لإعداد كوادر علمية وبحثية عربية متميزة في البحوث والدراسات العربية، وقد انتدب للعمل فيه نخبة من كبار العلماء من جامعات عربية عدة، وذلك منذ أكثر من سبعين عاماً، يعتمد هذا المعهد بشكل كبير في تمويله – منذ ما يقارب العقدين – على ما يحصله من رسوم طلاب الدبلوم والماجستير والدكتوراه، بعد أن كانت الدراسة فيه مجانية في صورة منح، بل كان الطالب المتفوق يحصل على مكافأة مالية تشجعه على مواصلة مشواره العلمي، في الوقت الذي تخرج فيه مجموعة من التقارير التي تفيد أن ميزانية البحث العلمي في الكيان الصهيوني الغاصب تفوق بمراحل أضعاف كل ميزانيات البحث العلمي في العالم العربي.

الأستاذ والسياسة

إنّ أمر البحث العلمي في جامعاتنا غاية في الغرابة! فالأستاذ هو من يعهد إليه بالبحث أو بالإشراف عليه، وهو كذلك مَن يعلم طلابه أسس البحث وطرقه ومن قبله أخلاقياته، وكم من طلاب يجلّون أساتذتهم ويرفعون رايات الوقار والتقدير لهم لإيمانهم بالحق والعدل والحرية! لكن الصورة ما تلبث أن تهتز وتتبدل سريعاً عندما يتولى بعض هؤلاء الأساتذة منصباً سياسياً أو رسمياً ويدلي بتصريحات هنا وهناك، وتكون له مواقف تناقض المبادئ التي غرسها في طلابه وعلّمها إياهم خاصة في علوم القانون والسياسة والتاريخ، حيث يراهم طلابهم وقد فُتنوا ببريق الأضواء والإعلام ووقعوا أسر مقاعد حجزت لهم في برامج حوارية مدفوعة بأجور سخية يسيل لها اللعاب.

وختاماً؛ فإن واقع البحث العلمي والباحثين في جامعاتنا لا يمكن فصله عن حالة الوَهْن العام الذي تعيشه المجتمعات العربية، وأنه لا سبيل إلى معالجة هذا الوهن إلا بتشخيصه تشخيصاً علمياً صحيحاً، ورسم خطط للنهوض به، وتجاوز العقبات التي تعترض الطريق، وإزالة الركام الذي غطى على جهود كثير من العلماء العاملين الذين آثروا العزلة بعد أن غصت الساحة بالتافهين والمدعين والمنافقين واللاهثين.

فهل آن الأوان لبزوغ فجر النهضة العلمية، وسطوع شمس حضارة تعيد صناعة تاريخ جديد لأمتنا؟

أحسب أن ذلك ليس بعزيز على جامعاتنا التي لا تعدم الكفاءات – في الداخل والخارج – رغم كل ما تعانيه.

المهم أن تتوافر النوايا الصادقة والمخلصة القائمة على ذلك بعيداً عن الدعايات الإعلامية الرخيصة، والله الموفق.■

لا بد من التدريب وإعادة التأهيل حتى يمكن للخريجين أن يلتحقوا بسوق العمل

بعض الأساتذة تهتز صورتهم حينما يتولون مناصب سياسية وتتناقض مواقفهم مع مبادئهم

واقع البحث العلمي بجامعاتنا لا يمكن فصله عن الوَهن العام الذي تعيشه مجتمعاتنا

هل آن الأوان لبزوغ فجر النهضة العلمية وسطوع شمس حضارة تعيد صناعة تاريخ جديد لأمتنا؟

قصة قصيرة

الرئة الحديدية

د. أحمد عيسى

يرقد على سرير صغير، وفوقه مثل عظمة السلحفاة الكبيرة، وعلى يمينه في الأمام نافذة كبيرة، إذا اطلعت على ما في خارجها لوجدت عالماً من الحركة والحياة، فالعصافير تشقشق في غناء جميل، وتطير في حرية بين أغصان الأشجار العالية التي بدأت أوراقها تتلون بألوان رائعة متداخلة من الأصفر والأخضر والأحمر قبل موسم الخريف، وبدأت بعض الأوراق في السقوط وكأنها تتلون بأشعة الشمس الذهبية وهي تتراقص بين الأشجار، لتقع في بحيرة الماء التي يسبح فيها البط في مجموعات أسرية، الأم وراءها فراخها في طابور منسق.

حط عصفور صغير ذو صدر ملون على قاعدة النافذة لكني لم أره.. سمعته كأنه يناديني أن انطلق.. لا أستطيع أن أراه لأقول له: لا أستطيع، فأنا محبوس تحت الرئة الحديدية لتساعدني على التنفس.

أعرف أن هناك سرراً في هذه المصحة عليها أولاد وبنات مثلي، لكن هذا العصفور اختار نافذتي.. سمعته الأم التي تأتيه كل يوم لتقضي معظم وقتها معه لتطعمه وتسقيه وتنظفه، وطلبت بأدب من الممرضة أن تركّب له المرآة أمام وجهه ليرى ما خلفه.. ليرى العصفور كما يحدث أثناء حصص الدراسة الخاصة في المصحة حينما تركب له المرآة ليرى من خلفه من مدرسين وأطفال.

لم تنس الأم حبات القمح التي تنثر للعصفور صديق ابنها هناك، وهي تركب القطار الذي يمخر الغابات الطبيعية جنوب لندن، التي تركت كما هي على جانبي الطريق (الحديدي)، ومع صوت العجلات المتكرر وهي تعبر فواصل الحديد، ينبض قلب الأم شفقة وألماً.. ألا يشبه هذا الصوت حركة الرئة الحديدية حينما يفرغ الجهاز من الهواء فيصبح الضغط سلبياً فيرتفع الصدر وتمتلئ الرئة، فإذا سمح للهواء مرة أخرى بالدخول خرج هواء الرئة من أنف وفم طفلها، يتكرر ذلك ست عشرة مرة في الدقيقة.. كأنما تسمعه الآن تتداخل أصوات تنفسها وتنهدها مع تنفسه وحركة الجهاز مع

حركة القطار.

وحركة القطار تنفي الخضوع لليأس حتى لو كان المرض هو الشلل؛ شلل الأطفال.

لم يكف لسانها عن رطوبة الذكر والدعاء وقد عقدت العزم أن تلتقي بالطبيب اليوم.

– سيستمر في الرئة الحديدية لوقت لا نعلمه، فإذا تحسن فسيحتاج إلى علاج طبيعي مكثف قد يستمر شهوراً طويلة أو سنين عدداً، المهم أن ينجح العلماء في الوصول إلى التطعيم ضد فيروس شلل الأطفال للجيل القادم.

– وأنا معكم بكل ما أملك من وقت ومال وروح وبدن!

بدأ الخريف يمضي قدماً إلى الشتاء بزمهريره وجليده.. وأمام مدفأة الفحم جلست وفتحت كتاب التشريح من كتب زوجها المتوفى ترى صور العضلات المشلولة وتعدّها عدّاً، وفي كل ليلة وقد اظلّم الأفق وغابت النجوم وطالت ساعات ليل الشتاء تقف للمناجاة.

وصورة ابنها تهتز مع انهمار الدموع اختارت أن تقيم الليل وتصلي لله.. كل ليلة ركعة عن كل عضلة من عضلات ابنها الكثيرة ليعيد لها رب الحياة حركة الحياة، لقد نذرت كل وقتها لابنها وإيمانها ويقينها برحمة الله وقدرته سيجعل قوة الروح في ولدها تنتصر على ضعف الجسد فيه.

ومرت الشهور ولا يزال العصفور يأتي زائراً يلتقط الحب خارج النافذة ويراقب برعشاته صوت الهواء في رئتي صاحبه ومضخة الهواء في نهاية السرير.

ولم تكف الأم عن صلواتها بالليل وزياراتها بالنهار تكلمه مشجعة وتبث فيه الأمل والقوة.. تلمس وجهه الخارج من الرئة الحديدية بكل ما حوت شفقة

الأم من حب صادق وتضع يدها على ذلك المعدن البارد الذي يحيط به تود أن تخرجه منه وأن تغمره بأحضانها.

خذوا عضلاتي وازرعوها في ابني حتى يعيش ويتحرك.. ابتسم الطبيب وقال عضلاتك كبيرة عليه.

كانت ترقب في رحلة القطار أطفال المدارس وهم يمرحون في حيوية ونشاط وتشعر أحياناً بشللها هي، شلل التفكير فيما تفعل، وشلل القدرة على فعل شيء لابنها، وأحياناً تراه هناك واحداً من هؤلاء الذين يملؤون أفنية المدارس حركة وجرياً.

ومرت سنتان وهي لا تتوقف عن زيارة ابنها في المستشفى وتمكث معه أطول فترة ممكنة لرعايته وتشجيعه وبث الأمل في روعه، لا يوقفها إلا مواعيد القطارات.. ولقد ربط بينها وبين الطبيب والممرضات صداقة حميمة فهي تغمرهم بطيب الكلام والهدايا ولا تتوقف عن مساعدتهم في العناية بفلذة كبدها الذي لا يزال يتنفس بالجهاز.

كانت تجد قوة غريبة حينما تعود إلى البيت البعيد منهكة لما تبدأ في الوضوء للصلاة والاستغراق في الدعاء، ولقد فوضت الأمر لله وهي تلهج بالكلمة العظيمة: الله أكبر.

كنت أراقب من خلال المرآة بعض الأطفال وقد خرجوا من الرئة الحديدية، منهم من يمسك ذراعاً مشلولة بذراع سليمة، ومنهم من يعرج، ومنهم من يمشي بعكازين، وكانوا رغم ذلك فرحين بعد المدة الطويلة التي قضوها داخل هذه الرئة التي هي أشبه بتابوت الموتى، وما إن أبدأ في مرحلة اليأس والاكتئاب والبكاء حتى تأتي أمي كنسمة الهواء العليل ترد إليّ روحي وتسقي وردة الأمل التي زرعتها فيّ فأشمها من جديد بأجمل ما تكون الرائحة، تغمر نفسي، وأنسى ما كنت أنوي فعله، أرى في وجهها المشرق كل أطياف الأمل ونبضات الحياة.

ومر عامان آخران شهدت فيه الأم تكثف الضباب وعتو الرياح وتراكم الجليد وانهمار المطر واسوداد السحاب وسطوع الشمس.. وهي لا تتغير عزيمة ومضاء وقوة كقوة الحديد الذي صنعت منه الرئة الحديدية.

جئت في الصباح كعادتي بعد مرور الطبيب ودخلت إلى حيث الرئة الحديدية التي يمكث داخلها ابني.. وأصابني الذهول حين رأيتها خالية، ما زالت رائحته الجميلة المميزة فيها وأكاد أرى صورة بسمته خلال المرآة المعلقة على رأس الجهاز.. تدحرجت دموعي كاللؤلؤ الثمين فلم أبك قط في هذه المستشفى ومسحتها بسرعة حين رأيت الممرضة تسرع الخطى إليّ لتأخذ بيديّ برقة وأنا لا أستطيع أن أفتح شفتي.. إلى أين؟ في الحجرة المجاورة وجدت «يحيى» يحيا بين الأطفال وهم تحت رعاية اختصاصيات العلاج الطبيعي.. لا تسلني عما حدث.. كل ما أتذكره الآن هو أنني اندمجت معه واختلطت به وذبت فيه وغسلت وجهه بدموع فرحتي.. رغم أنه لا يزال لا يستطيع المشي أو تحريك ذراعيه.

ومرت الشهور.. وسألني «يحيى» عن عصفوره الذي كان يأتيه في الغرفة الكبيرة.. وبدأنا معاً نضع حبات القمح على الشباك الجديد لعله يأتي.. وكنت آتي يومياً أساعده في تمرينات العلاج الطبيعي، وفي الربيع لاحظت عصفوراً أصغر – بنفس الشكل – لعله فرخ جديد للأم التي كانت تأتي.

وفي يوم حينما وصلت قالوا لي: إن الطبيب يريدك، فدق قلبي سريعاً وزاغت عيناي بعيداً ولم أنطق إلا بالدعاء والرجاء والرضا.. أخذ هو الآخر بيدي ومشى بي صامتاً ثم قال للممرضة: افتحي الباب، كانت لحظات طويلة توقف فيها نفسي وإذ به «يحيى» يخرج ماشياً – بعرجة لم ألاحظها – إليّ.

أمي.. كان ذلك منذ ستين عاماً.. ومنذ ثلاثين عاماً مشيت إليك بعرجتي وأنا أحمل شهادة الدكتوراه في احتفال التخرج بجامعة كمبريدج العريقة لأقبّلك على جبينك قُبلة الشكر الصادق.. ولأهمس لك يا حبيبتي.. لم تنقذني الرئة الحديدية.. بل أنقذتني أمي الحديدية.■

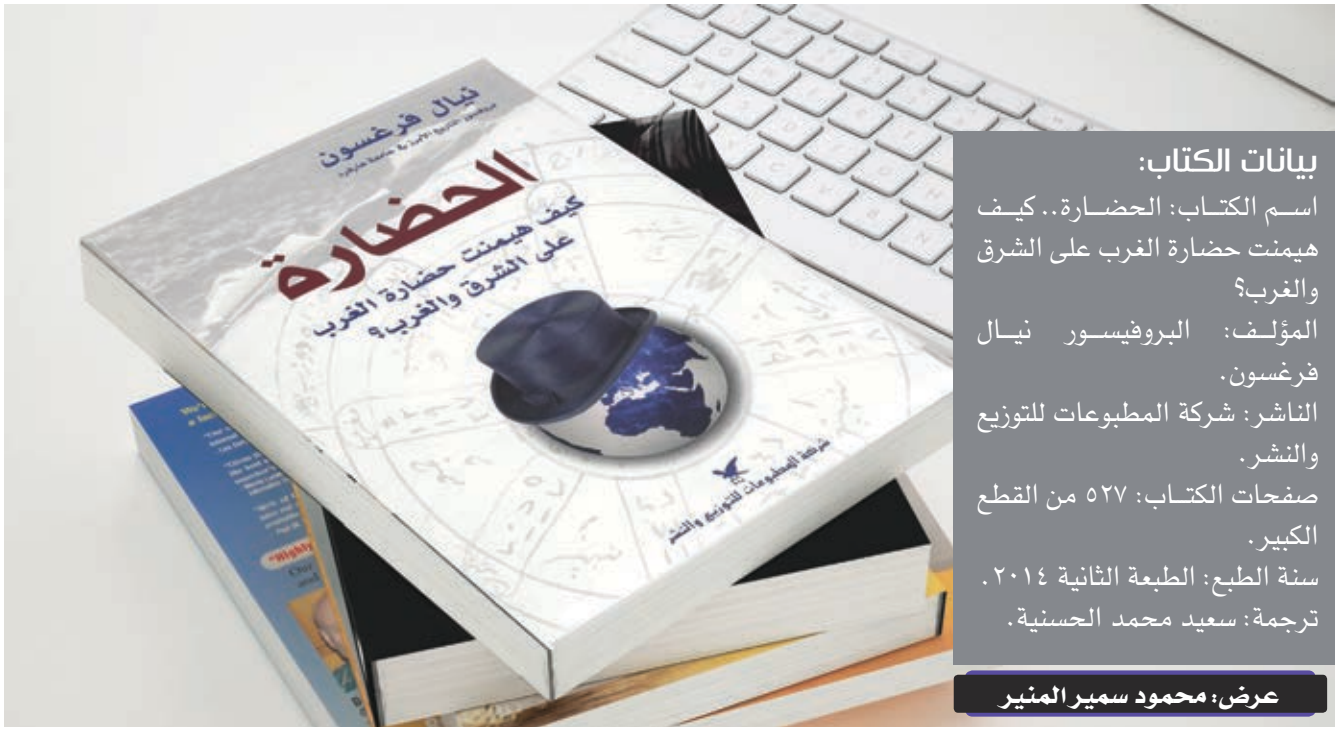

بيانات الكتاب:

اسم الكتاب: الحضارة.. كيف هيمنت حضارة الغرب على الشرق والغرب؟

المؤلف: البروفيسور نيال فرغسون.

الناشر: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

صفحات الكتاب: ٥٢٧ من القطع الكبير.

سنة الطبع: الطبعة الثانية ٢٠١٤.

ترجمة: سعيد محمد الحسنية.

عرض: محمود سمير المنير

الحضارة.. كيف هيمنت حضارة الغرب على الشرق والغرب؟

نبذة عن المؤلف:

أحد أهم العلماء في العالم، وأشهر المؤرخين البريطانيين، يشغل منصب أستاذ التاريخ في جامعة هارفرد، وأستاذ في معهد وليام زيغلر بمعهد هارفرد لإدارة الأعمال، ويعد من كبار الباحثين في جامعة أكسفورد، كتب وقدم خمسة مسلسلات تلفزيونية وثائقية لاقت نجاحاً هائلاً، وصدر له عدد كبير من المؤلفات.

محتويات الكتاب:

قسم البروفيسور نيال فرغسون كتابه «الحضارة.. كيف هيمنت حضارة الغرب على الشرق والغرب؟» إلى ستة فصول تحمل قيم هذه الحضارة، وتمثل عناصر نهضة الحضارة الغربية، محللاً هذه العناصر ومتحدثاً عن التحديات التي واجهتها وكيف تطورت، وكيف أحدثت هذه النهضة التي هيمنت على العالم وجاءت كما يلي:

الفصل الأول: المنافسة.

الفصل الثاني: العلوم.

الفصل الثالث: الملكية.

الفصل الرابع: الطب.

الفصل الخامس: الاستهلاك.

الفصل السادس: العمل.

هذا الكتاب:

يطرح البروفيسور نيال فرغسون تساؤلاً مثيراً للجدل والنقاش، سبق أن تطرق إليه غالبية مؤرخي التاريخ المعاصر؛ وهو: لماذا تمكنت حفنة من الدول الصغيرة الواقعة عند الطرف الغربي من أوراسيا (كتلة أوروبا آسيا)، بدءاً من العام ١٥٠٠م، من السيطرة على بقية أنحاء العالم؟ وهي مساحة تضم بعض أكثر المناطق كثافة سكانية، إضافة إلى بعض أكثر المجتمعات تقدماً في شرق أوراسيا.

ولعل هذا التساؤل يفترض تساؤلاً آخر من جنسه هو: إذا تمكنا من الحصول على تفسير مقنع عن صعود الغرب في الماضي، فهل سيكون بمقدورنا أن نتوقع مستقبل ذلك الصعود؟ يعني هذا التصور حقاً نهاية عالم الغرب وقدوم الحقبة الشرقية الجديدة؟ بكلمات أخرى؛ هل يعني ذلك أننا نشهد انحسار العصر الذي رزحت فيه الغالبية الساحقة من البشرية – بشكل أو بآخر – تحت نير الحضارة التي نشأت في أوروبا الغربية غداة عصر النهضة والإصلاح؟ وهي الحضارة التي أحرزها عصر التنوير والثورة العلمية، التي انتشرت عبر المحيط الأطلسي ووصلت إلى أقاصي العالم، وقد وصلت هذه الحضارة أخيراً إلى أوجها خلال عصور الثورة والصناعة والحكم الإمبراطوري.

ليس في الأمر سرٌّ ولا وصفة سحرية.. بإستراتيجيات ست بين منافسة وعلم وديمقراطية وطب ومجتمع استهلاكي وأخلاقيات عمل، ألحقت حضارة أوروبا الغربية الهزيمة بإمبراطوريات الشرق المتفوقة، وتحولت من ممالك متخلفة أنهكتها الحروب

والأوبئة إلى حضارة تهيمن على العالم قاطبة، بما فيها حضارات الشرق.

وحدث، منذ ذاك الوقت، انقلاب كبير في موازين القوى العظمى.. كيف تمكّن الغرب من تحقيق هذه الإستراتيجيات «القاتلة»؟ ما البنية السياسية التي اتبعتها البلدان فتقدمت؟

كيف تفوقت النزعة التجارية الهولندية مثلاً على إمبراطورية الصين العظيمة؟ أو كيف تمّ تحدّي الإمبريالية في الهند وجامايكا وجنوب أفريقيا؟

الكتاب يحلل ويوثق كل ذلك عبر رحلة تاريخية استثنائية بجدارة عبر القنال الكبير في نانجينغ، وقصر توبكابي في إسطنبول وماشو بيكو في الأنديز وجزيرة القرمز في نامبيا وأبراج براغ والكنائس السرية في وينزهاوز.

والكتاب يستفز منذ البداية طموح مُحبي التاريخ ويرضيه بأدلته ودقة ملاحظاته وصدقية رؤيته وروايته للأحداث، تمكّن مؤلفه من التوجه فيه إلى جميع الفئات العمرية، عبر اعتماده أسلوباً سلساً، بسيطاً وواضحاً دون أن يخلو من العمق البحثي.

لماذا تمكنت حفنة من الدول الصغيرة الواقعة عند الطرف الغربي من أوراسيا كتلة أوروبا وأوراسيا، بدءاً من عام ١٥٠٠م، من السيطرة على بقية أنحاء العالم، وهي مساحة تضم بعض أكثر المناطق كثافة سكانية، وبعض أكثر المجتمعات تقدماً في شرق أوراسيا؟ هذا السؤال لا يزال يتصدر نقاشات واسعة في العالم، ولا تنجو منها مجتمعاتنا العربية التي طرحت منذ أكثر من قرن، على لسان متنوري النهضة، سؤالاً: لماذا تقدم الغرب وتخلف العرب؟ وهو سؤال يكتسب راهنية اليوم، ويقض مضجع النخب المثقفة والقوى السياسية، الباحثة عن أجوبة مقنعة، بعيداً من منطق المؤامرة الإمبريالية التي توجه سهامها نحو عالمنا العربي.

يقدم كتاب «الحضارة.. كيف هيمنت حضارة الغرب على الشرق والغرب؟» للكاتب الأمريكي «نيال فرغسون» جواباً علمياً على السؤال العربي عن أسباب التقدم، وتفسيراً علمياً للمسار الذي قطعته الحضارة الغربية وعناصر القوة التي مكنتها من أن تهيمن على العالم.

صراع الحضارات

على رغم أن النقاش حول الحضارة الغربية وتفوقها لا يخلو راهناً من شكوك في إمكان استمرار هذا التفوق، في ظل تصاعد قوى عالمية خصوصاً في الشرق الأقصى؛ أي في اليابان والصين والهند، كما تشهد أمريكا اللاتينية صعوداً مشابهاً في القوى، وعلى رغم كل ما زعمه مؤدلجو الحضارات من نزعات عرقية وعنصرية عبّرت عن نفسها بنظرية صراع الحضارات التي قال بها «برنارد لويس» وطورها لاحقاً «صامويل هنتنجتون»، والتي ذهبت إلى التبشير بهذا الصراع الذي سيندلع ضد الحضارة الغربية عبر الحضارات الشرقية والإسلامية، وهو منطق لا يمت إلى الصراع الحضاري بمقدار ما هو تعبير عن صدام الأصوليات في العالم.

رغم كل هذه الالتباسات تبقى استعادة عناصر القوة للحضارة الغربية أساسية لكل المجتمعات التي تسعى إلى الخروج من التخلف والدخول في العصر ومواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي، والإفادة مما تقدمه العولمة إلى شعوب هذه المجتمعات، ومن ضمنها مجتمعاتنا العربية.

> **الكتاب يرضي طموح محبي التاريخ بأدلته ودقة ملاحظاته وصدقية رؤيته وروايته للأحداث**

> **عناصر حضارة الغرب ستة هي: المنافسة والعلوم والملكية الفكرية والطب والمجتمع الاستهلاكي وأخلاقيات العمل**

العناصر الستة

يركز الكتاب على ستة عناصر يرى الكاتب أنها كانت في أصل نهوض حضارة الغرب وسيطرتها، ويوردها بعد أن يرفض رفضاً قاطعاً نظرية الهيمنة الإمبريالية على العالم غير الغربي ونهب ثرواته ووضعها في خدمة التقدم الغربي، وهي نظرية رائجة في شكل واسع خصوصاً في المجتمعات السائرة في طريق النمو، يتصل العنصر الأول بما يسميه «المنافسة»، أي بطبيعة النظام الاقتصادي والسياسي الذي اعتمده الغرب منذ خمسة قرون، وهو قائم على الحرية والليبرالية.

الحرية السياسية والاقتصادية التي بدأها «المركانتيليون» مطلع القرن السادس عشر، وطورها وأعطاها «آدم سميث» بعدها النظري من خلال الشعار الشهير الذي أطلقه: «دعه يعمل، دعه يمر»، مهدت لنظرية المنافسة إلى تكوين أنظمة سياسية تعتمد اللامركزية، وصولاً إلى تكوين دول قومية، كسرت القيود السياسية التي كانت تمنع التبادل التجاري الحر.

العنصر الثاني في قوة الحضارة الغربية هو «العلوم»، التي انطلقت من دراسة الطبيعة، مستندة إلى طريقة مختلفة في فهم العالم الطبيعي، ضمن وجهة مركزية تسعى إلى تغييره، كرّس الغرب جهوداً ضخمة في التطوير العلمي، وتوظيف هذا العلم في الاختراعات ذات الوظائف المتعددة، وبناء المصانع التي شكلت منعطفاً في تاريخ أوروبا الحديثة؛ بما جعلها متفوقة في صناعاتها على سائر دول العالم، وبما مكنها من أن تغزو العالم من طريق الاقتصاد، ترافق ذلك مع توظيف هذه الثورة في العلوم في تطوير القوة العسكرية وإقامة ترسانة مسلحة ساهمت في السيطرة العسكرية على مناطق واسعة من العالم.

العنصر الثالث هو «حقوق الملكية»، والمقصود به أساساً حكم القانون الذي يشكل الوسيلة الوحيدة لحماية الحقوق الشخصية ومنع التعديات على المواطنين، والحد من تحكم قوى خارجة عن الدولة في حياة الإنسان الغربي، من هذا العنصر انبثق لاحقاً فكر سياسي، شكلت الديمقراطية عماده الرئيس، خصوصاً مسألة حل النزاعات بالطريقة السلمية، وإقامة تسويات بين مختلف مكونات الشعب، هذه النظرية ستهيمن لاحقاً على فكر التنوير في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وتشكل الأساس الذي تقوم عليه السلطات.

العنصر الرابع هو «الطب»، حيث تمكن الغرب، في سياق التطور العلمي، من تقديم اكتشافات هائلة على الصعيد الطبي، كان لها أثر كبير في إطالة عمر الإنسان في أوروبا، وتوظيف هذا التقدم في تحسين مستوى الحياة لدى البشر، سواء في المجتمعات الغربية أم في المستعمرات التي انتقلت إليها بعض نتائج الاختراعات في المجال الطبي.

العنصر الخامس هو «المجتمع الاستهلاكي»، الذي يعبر عنه بنمط الحياة المادية السائدة، وأدت الاكتشافات العلمية وازدهار الصناعة والتجارة والزراعة إلى تطور واسع في نمط العيش الأوروبي، وإلى توافر ثروات وأموال لدى شرائح واسعة من المجتمع، انعكس كله في طبيعة الاستهلاك الذي بات يطاول ميادين واسعة في الملبس والمأكل والمشرب ووسائل اللهو.. وهي عناصر أساسية في تسريع الدورة الاقتصادية وما يتبعها من زيادة الثروات.

أما العنصر السادس والأخير فهو «أخلاقيات العمل»، فالعمل ارتفع إلى أعلى المثل في أوروبا، بل إن بعض النظريات الدينية، خصوصاً منها البروتستانتية، رفعته إلى مصاف الأولويات التي على الإنسان التزامها، وبات العمل مقياساً رئيساً من المقاييس الأخلاقية، وقد جرى اعتبار العمل تتويجاً للعناصر الخمسة التي تمت الإشارة إليها، فمن دون تقديس العمل كان من المستحيل تحقيق الإنجازات التي حققتها الحضارة الأوروبية.

تجاوز الماضي

لا شك أن العناصر المشار إليها هي عناصر قوة تحتاجها كل المجتمعات، وإذا كانت لها غلبة في الغرب سابقاً، إلا أنها تتخذ طابعاً شمولياً عالمياً بصرف النظر عن الأصل في تطورها، تحتاج المجتمعات العربية إلى التمثل بهذه العناصر في صراعها من أجل التقدم، في هذا المجال لا يفيد مجتمعاتنا أن تظل واقفة على أطلال الحضارة التي سبقت حضارة الغرب، ولعل تجاوز هذا الماضي، من دون إنكار أهميته على الشرق والغرب، يشكل أحد الممرات الضرورية لهذا التقدم المنشود، في هذا المعنى يكتسب الكتاب أهمية في ترشيد مجتمعاتنا نحو اكتساب عوامل القوة والنهضة.

لقد حاول «نيال» أن يضعنا في صورة المشهد الحضاري بين الغرب والإسلام أمام نوع من المقارنة بين ما كان عليه الغرب وما كان عليه العالم الإسلامي حتى وقت قريب، أي فترة الدولة العثمانية التي كانت تملك نقاط قوة عديدة أهمها الثروة والموارد الهائلة، ومستوى عال من الخبرة والتدريب، والروح العسكرية الراسخة، وسلسلة الانتصارات السابقة، والاستعداد لتحمل المشاق، علاوة على روح النظام والانضباط.. مقابل ما كانت عليه أوروبا من عادات مترفة وموارد ناضبة وروح معنوية هابطة ونفسية عسكرية تميل إلى التمرد، فضلاً عن الصراعات الأنانية وانغماس القادة في أجواء المجون والملذات.

ومن خلال هذه المقارنة أرجع الباحث أسباب التفاوت المذكور إلى عاملين رئيسين:

أولهما يتعلق بمسألة الجغرافيا والمناخ، وعلل ذلك بأن آسيا لا تمتلك منطقة معتدلة، كما أن الأماكن الواقعة في مناطق مناخية شديدة البرودة تجاور مناطق شديدة الحرارة، كما أن البلدان القوية في آسيا تقف ضد البلدان الضعيفة، والسكان المحاربون والشجعان والنشطاء يحتكون مباشرة بأولئك الكسالى والضعفاء، أما في أوروبا فكانت الدول القوية تواجه دولاً مثلها، كما كانت الدول تتحد مع دول أخرى مماثلة لها.

أما العامل الثاني فهو التطورات العديدة التي وصل إليها العقل الأوروبي، وأهمها: التعمق في العلوم، وروح البحث والاستكشاف، وفهم العالم الطبيعي (التقدم في الطب وإدخال تحسينات مهمة على الصحة)، وتطوير البحث الفكري والطرائق العلمية في التحقيق، وعقلنة البحوث ونشرها، والتفوق الحربي نتيجة لتطبيق العلوم على المجهود الحربي، والعقلانية في الحكم وتطوير مؤسسات السلطة.

كيف تخلفنا في ميدان العلم رغم امتداد حضارتنا إلى بقاع واسعة من المعمورة وامتلاكنا مقومات القوة والتقدم؟

الحضارة لن تدوم والحرية لن تبقى والسلام لن يخيم إلا إذا اتحدت الغالبية العظمى من البشر لحمايتها

ويستنتج «نيال فرغسون» من ذلك أن صعود العالم الإسلامي قد يحتاج إلى جهد علمي أكثر من ذلك، وهي القضية التي ينبغي للعرب دراستها من جديد، وتحديد الشروط العملية والفكرية لحالة الصعود، وذلك بدراسة أسباب الانهيار والعجز الذي أصاب هذه الأمة، حتى تستطيع الصعود مجدداً، وأن نكون نحن القوة الجديدة القادمة، خاصة أن «نيال فرغسون» يتحدث عن مخاوف من الانهيار مقلقة لمثقفي الغرب ومفكريه.

الخلاصة:

في هذا الكتاب قدم لنا البروفيسور «نيال فرغسون» خلاصة فكره ورؤيته التي استنتجها من خلال دراسته الطويلة والعميقة لتاريخ حضارات العالم بين القرنين الخامس عشر والعشرين، مركزاً في استنتاجاته على فهم الأسباب التي جعلت بعض الإمبراطوريات تصعد وتهيمن وتسود حضارياً على بقية العالم، ثم تأفل وتنهار، وهو بذلك يحاول تفسير تاريخ العالم من خلال ظاهرة الهيمنة، والأسباب التي جعلت دولاً تصل إلى أعلى مستويات القوة ثم تنهار، ليثير بعض التساؤلات: هل كان صعود الغرب مجرد حظ حسن؟ وهل يرجع إلى جغرافيا ومناخ الطرف الغربي؟ وما الوسائل التي جعلت الأوروبيين أقوياء؟ ولماذا لا يستطيع الآسيويون والأفارقة تحقيق تطور مماثل؟ وكيف تخلف العالم الإسلامي في ميدان العلم رغم أن حضارته كانت تمتد إلى بقاع واسعة من المعمورة وكان يمتلك كل مقومات القوة والتقدم؟■

مقال

بقلم: سعد مرزوق العتيبي
رئيس قطاع أفريقيا بالرحمة العالمية

لقاء من نوع آخر

تعتمد عملية بناء الإنسان على مجموعة من البرامج والأنشطة والفعاليات ضمن بيئة تربوية يتم تصميمها بشكل مميز؛ لنقوم بعملية التنشئة الصحيحة داخل مجتمع نعمل على تصميمه خصيصاً لهذه المهمة.

ما أتحدث به ليس تعريفاً أكاديمياً يدرّس في الجامعات والجهات الأكاديمية ولا يوجد لها صدى على أرض الواقع، بل هو حقيقة تشهد له الدول التي نعمل بها.

مجمع الرحمة التنموي أحد مشاريع الرحمة العالمية الإستراتيجية في جيبوتي، يحتفل هذا العام بعشر سنوات قضاها في تدريب وتأهيل الأيتام والطلاب في عدة مجالات، والحاصل على جائزة أفضل المبادرات المجتمعية في رعاية الأيتام على مستوى دول مجلس التعاون الخليجي.

دعونا نرجع قليلاً إلى الوراء، كنت أترقب جيداً في مايو الماضي نتائج الثانوية العامة في جيبوتي؛ حيث إن طلابنا الأيتام في تحدّ جديد، ولكنه هذه المرة على مستوى جمهورية جيبوتي ليتنافسوا مع المدارس ذات التعليم الفرنسي وكذلك المدارس العربية والأجنبية الأخرى، كنت متفائلاً من ناحية، وواثقاً بأبنائنا من ناحية أخرى؛ لما وجدته من جهود كبيرة بذلها الطلاب وإدارة المجمع التعليمي في الدراسة والمتابعة الحثيثة، وفي مجال النشاط الصفي واللاصفي، حيث تصدر طلابنا قائمة المسابقات الوطنية سواء في حفظ القرآن أو الشعر أو الخطابة، بل حتى في منافسات الرياضة وكرة القدم، حتى إنه تم اختيار طالبين من طلابنا لتمثيل جيبوتي في مسابقة المناظرات الدولية المنعقدة في قطر الشقيقة، وسأكون صادقاً أنني لم أتفاجأ كثيراً بالنتيجة بحصول طلابنا على المراكز الأولى على مستوى الجمهورية، لكني أيضاً وجدت نفسي شديد الفرح والسعادة لهم وبهم على هذه النتائج الرائعة.

قررت السفر إلى جيبوتي، ورغم صغر مدة الزيارة فإنني أصررت على أن يكون ضمن البرنامج اللقاء بالشباب المتفوقين لنفرح معاً بهذا الإنجاز الجميل، لقد كان لقاءً مفعماً بالسعادة، لم يكن عادياً ولا تقليدياً، لقاء من نوع آخر، لن يشعر به إلا من ذاق طعم الإنجاز الحقيقي، نعم أيتام ولكن قدوتهم سيد الأيتام محمد صلى الله عليه وسلم، شباب ذللوا سبل المعالي فاستحقوا ما وصلوا له عن جدارة.

وجدت فيهم الفخر والاعتزاز بأنفسهم أولاً، ثم بأمهاتهم الكريمات، ثم بهذا المجمع التنموي الذي احتضنهم طوال السنوات العشر الماضية حتى وصلوا إلى هذه نتيجة.

طلبت من محمد روبله، الحاصل على المركز الأول على مستوى جمهورية جيبوتي في مرحلة الثانية، ومن رفاقه المتفوقين، أن يتحدثوا عن أمنياتهم وتطلعاتهم، وكنت سابقاً قد تحدثت معهم أن لديهم ثلاثة مسارات لما بعد التخرج؛ أولاً استكمال دراستهم العليا، وثانياً دخول سوق العمل مباشرة، وثالثاً دخول دورة تدريبية حرفية وإنشاء عملهم الخاص، وإذا بهم يتفقون جميعاً على الخيار الأول وهو استكمال الدراسة الجامعية، فأخبرتهم بأننا سنكون معهم حتى النهاية.

لم يكن الأمر مفاجأة كما قلت، فهذه النتائج هي ثمار لعشر سنوات من التخطيط والعمل والتدريب والتربية السلوكية التي أثمرت بدخول ٥ من أيتامنا ضمن ١٠ الأوائل على مستوى الجمهورية كما ذكرت، فمجمعاتنا التنموية ليست مكاناً يتعلم فيه الطلاب، بل بيئة متكاملة من التغيير السلوكي القيمي، فالتحدي الحقيقي ليس باكتساب المعلومات فقط، بل بتغيير القناعات واكتساب الخبرات، وهذه المنظومة التدريبية وجدنا أثرها من خلال إدارة تم انتقاؤها نحرص على رعايتها والاهتمام بها لتقوم بالمهمة على أكمل وجه.■

مرور مائة عام على ميلاده (٢ - ٣)

موقع الشيخ الغزالي الفكري الاجتهادي

بقلم: د. إبراهيم نويري - باحث أكاديمي - الجزائر

في البدء يمكننا الذهاب في تحديد موقع الشيخ الغزالي الفكري والاجتهادي إلى أنه ينتمي إلى مدرسة الإحياء والتجديد الفكري والحضاري وبعث الإسلام في العالم من جديد مجرداً من الخلافات النظرية والتفسيرات المذهبية والتاريخية، والحرص على جعل الاستفادة التامة من كل تراث الإسلام وعطاءات العقل الإنساني مما هو مشترك إنساني عام لا خصوصية حضارية؛ رؤيةً شاملة تحكم طرق تفكير واجتهاد هذا المنهج.

المذاهب الفقهية في الإسلام يكمّل بعضها بعضاً ولا يغني أحدها عن الآخر

حين نطلب تحكيم الإسلام لا نفكر في إقامة دولة مالكية أو حنبلية فهذا حُمق في التفكير

يقف من عطاءات العقل المسلم وإبداعات الفكر الإسلامي موقف الناقد الممحّص البصير

إن مشروع الغزالي الفكري صارخ في الانحياز التام لهذا المنظور ولهذه المدرسة، وتتجلى معالم هذه الرؤية أو المنهج في أي موضوع يتعرض له الشيخ بالحديث والتحليل والمعالجة، ولنتأمل مثلاً هذه الرؤية التي تُعضّد وتدعم ما ذهبنا إليه، والتي يقول فيها: «إن المذاهب الفقهية في الإسلام يكمّل بعضُها بعضاً ولا يغني أحدها عن الآخر، إنها كلها تمثل الفكر الإسلامي الرحب الذي يجب أن يُدرس ويُبحث، ويخضع للنقد والمقارنة والترجيح والمحو والإثبات، ونحن شديدو الاحترام لأئمتنا الأوائل، عظيمو التقدير لذكائهم الخارق وتقواهم لله ونصحهم للأمة ومقاومتهم للجور، غير أننا نشعر بأن كل واحد منهم يمثل لوناً من التفوق الذهني والمناهج العلمية، وأن الإسلام مجموعة هذه الألوان وغيرها مما يجدّ على اختلاف الليل والنهار من اجتهاد الفقهاء وتطبيق الكتاب والسُّنة على مختلف الشؤون.

إننا حين نطلب تحكيم الإسلام لا نفكر في إقامة دولة مالكية أو دولة حنبلية، فهذا حمق في التفكير، إن الإسلام الذي نستهدي به هو أولاً: الأصول المعصومة من كتاب وسُنة، وثانياً: جهد العقل الإسلامي في مواجهة الأحداث المتباينة في تاريخه الطويل ومدى ما أحرز من توفيق أو عرض له من خطأ، ونحن المسلمين في هذا العصر نواجه الفكر الإنساني القادم من شتى القارات، العارض لأنواع الحضارات، المصوّر لشتى النزعات والفلسفات، فكيف يلقى هذا الفيض الغامر رجلٌ محصور في مذهب فقهي تعصّب له؟ أو رجل ينتسب إلى فرقة إسلامية ولد في أحضانها؟ إن على دعاة النهضة الإسلامية المعاصرة أن ينخلعوا من هذه القيود، وأن تكون لديهم إحاطة علمية بما لديهم مهما كان الرأي فيه، وحسن الإدراك لثقافتنا في أصولها وفروعها شيء، وما يميل إليه المرء من رأي أو يؤثره من وجهة نظر شيء آخر، ويؤسفني أن تكون أزمات المعرفة في بلادنا وبين رجالنا بعض الضيق الذي نشعر به في جوانب حياتنا كلها المادية والأدبية، وما يُخدم الإسلام بهذه الفاقة ولا بهذا الانحصار»[1].

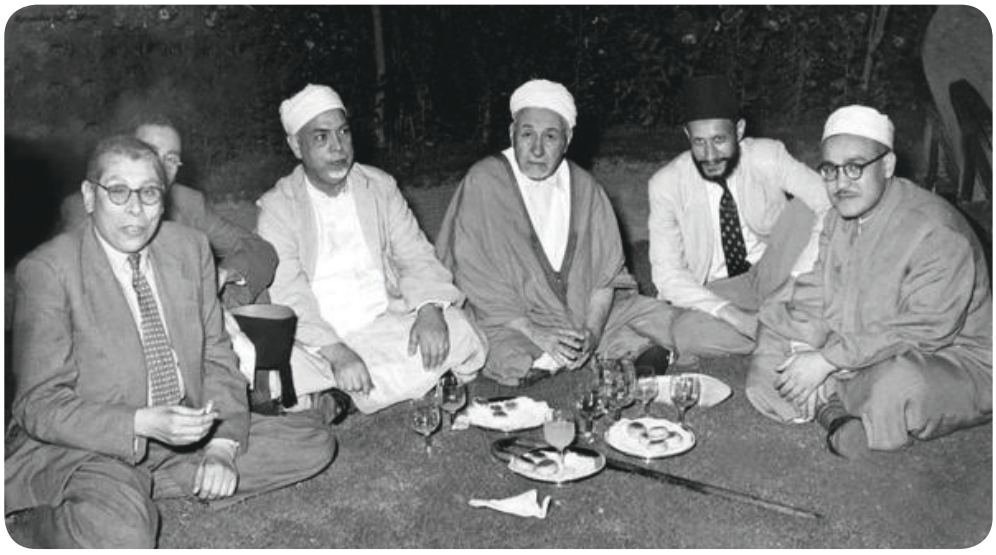

إن هـذا التوجه فـي الطرح الفكـري إنمـا يشـير بقـوة إلى أن الغزالـي يقـف مـن عطاءات العقل المسـلم وإبداعات الفكر الإسـلامي - عبـر مسـارات تاريخـه - موقـف الناقـد الممحّـص البصيـر، وأنه ينتقي من شـتى الاتجاهات والمدارس والمذاهـب مـا يخـدم حاضـر المسـلمين ومـا يعـزز مكانتهم فـي المسـتقبل، وهـو ينظـر إلـى مختلـف المدارس وشـتى المناهـج علـى أنهـا اجتهادات غيـر معصومـة، وإلـى الجهـود المختلفـة التـي أنتجتهـا تلـك المـدارس والمناهـج وأصبحت إرثاً فكريـاً وثقافيـاً وعلمياً هو جزء أسـاس من النسيج العقلي والنسق المعرفي للعقل المسلم، علـى أنهـا رصيـد مهـم للفكر الإسـلامي، بيـد أنهـا ليسـت ملزمة في جزئياتهـا التفصيلية ومسَائلها الظرفية، وذلك لوجود المتغيـرات المتنوعـة في حركة الواقـع الاجتماعـي وصيرورات التاريخ السيالة المتحركة.

وتظل العصمة والقداسـة - بـرأي الغزالي - محصـورة في المنابع لا في السـواقي، أي أنها خاصة بالنص المطلق المعصوم عن الخطأ المتمثـل في الكتاب والسُّـنة، كمـا يظـل النـص القرآنـي تحديـداً - وفـق هـذا المنظـور - معيـاراً أبديـاً ثابتاً لوزن القيمة الحقيقية للنصوص والقواعـد والمفاهيـم الأخرى، أو لـوزن مـدى صـواب أو خطأ الآراء والأفعـال والسـلوكيات والمنجـزات والأعمال البشـرية المتّسمة دوماً بالنسبية.

وفـي نظـر الغزالـي وفهمه أن ما أبدعه العقل المسـلم عبر مسـيرته الحضاريـة والتاريخية مـن أنسـاق معرفيـة ومناهـج وتراكمـات فكريـة وتنظيريـة وثقافية ليسـت مقصودة لذاتها، فهي ليسـت ترفاً عقلياً أو متعة ذهنية، وإنما كان وجودها أساساً والباعـث عليها يتمثل في خدمة الإحاطـة والإدراك المنهجـي للنـص المطلق المعصـوم وفهم مقاصده وأبعاده العامة، والعمل مـن ثـم بهديـه وبنـور الحكمة المستترة داخل سياقاته وضمن تضاعيفـه؛ وذاك سـر صياغـة القـرآن لأجيـال عظيمـة النفع، زكية النفس عاليـة الهمة صلبة الإرادة، وفي ظرف زمني قصير ومحـدود إبـان البعثـة المباركة وخلال فجر الرسالة الخاتمة.

لذلـك نـرى الغزالـي ينعى بشـدة فهم واجتهـاد الحَرْفيين والنصوصييـن للإسـلام وتراثه ممن يقدسون القوالب والمناهج التاريخيـة لبعـض جوانـب مـن المعرفـة الإسـلامية فيفوتهـم الانتفـاع بالجوهـر وبالمقاصد المرتبطـة برسـالة الإنسـان المركزيـة وغايـة وجـوده وهي الاسـتخلاف عـن الله وحسـن الإصـلاح والإعمار فـي الحياة والكـون والتفاعل بالخير والحق مـع منظومـة معطيـات الفطرة الصحيحة السـائغة، بل ومع كل ما يوجد في هذا الوجود الكوني الفسيح.

ودلالة ذلك كلـه - كما يرى الغزالـي ويعتقـد - أن جوهـر النبـي صلـى الله عليـه وسـلم وأساس كيانه المعنوي والحياتي برمتـه إنمـا هـو «هـذا الكتاب العظيـم الـذي صنـع حضـارة العقل السليم، فكيف ننسى هذا كله وننشـغل بأمور شـكلية هي أقـرب إلى القشـور، إن قشـرة البرتقالـة أو قشـرة البيضة قد تكون ضرورة لحفظهـا وبقائها، ولكن ليس معنى هـذا أننا نأكل قشـر البرتقال أو قشر البيض، فالقشـرة هي الشـكل ومهمتها أن تصـون الجوهر، فإذا انتفعنا كان انتفاعنا بهـذا الجوهر قبل كلّ شيء، أما الذين يعيشون على قشـر البرتقال أو قشـر البيض ولا ينفذون إلى صميمه فهم قوم جهلة، وأنا أرفض أن يكون زمام الفكر الإنسـاني والإسلامي في أيدي هؤلاء»[٢].

فهـذه الرؤيـة بنظرنـا تؤكد انتماء الغزالي الفكري لمدرسـة التجديـد والإحياء والاسـتفادة المطلقـة والمفتوحـة من تراث الإسـلام كلـه ومـن الجوانـب المضيئـة لعطـاءات العقـل الإنسـاني، تلـك التـي تمثـل مشـتركاً إنسـانياً عاماً؛ إذا كان الأمر كذلك، فلـن نعدو الصدق والموضوعيـة إذا قلنـا: إن الشـيخ الغزالـي هـو واحد من

أعلام هذه المدرسة الفكرية.. مدرسة الجامعة الإسلامية.. مدرسة الإحياء والتجديد الحديثة لفكر الإسلام لتُجدّد به حياة المسلمين.. إن شيخنا الغزالي هو واحد من علماء هذه المدرسة، وإن موقعه الفكري في الإطار الذي يجمع أعلام هذا التيار، فالرجل يكاد أن يحتضن كلّ تراث الإسلام وأن يستدعي من ثمرات إبداع المدارس الفكرية المختلفة كلّ اللبنات الصالحة للعطاء في مواجهة ما نواجه من تحديات»[٣].

بيد أن هناك ملاحظة ربما لا يجوز إهمالها في هذا المضمار أو السياق، ونقصد بها تميز تفكير الغزالي داخل نطاق الإطار الذي يجمع رموز وأقطاب هذا التيار الفكري، خاصة أن الغزالي قد تقدم به العمر بعد حسن البنا وبعد العديد من أعلام هذا التيار، واستجدّت أمور لم تكن مثارة في وقتهم، أو لم يكن بعضها بالصيغة التي أصبح عليها في المرحلة التي عايشها الغزالي في أوج نضجه العقلي وعطائه الفكري، وربما ليس أدل على ذلك من الإشارة لاجتهاده وإضافته لعشر مقررات أو قواعد للتعاليم العشرين التي وضعها أستاذه الإمام حسن البنا لهذه المدرسة الفكرية[٤].

هذه بعض محدّدات الموقع الفكري الذي ينتمي إليه فكر الغزالي واجتهاده وتنظيره، وهذا هو المنطلق الذي تحرك من قواعده وخلفياته وأسسه، فجاء مشروعه الفكري لبنة عامرة بالحيوية نابضة بالحياة، تبشّر بحركية جديدة وبأنساق فاعلة وواعدة وأنماط أخرى محتملة لمستقبل الفكر الإسلامي، تكون قائمة على قواعد منهجية صلبة ومنفتحة على المعرفة وعلى عطاءات العقل الإنساني والخبرة الإنسانية والفطرة الصحيحة؛ ونحن لا نجدّف في استنباط وبسط هذه المحدّدات لموقع الغزالي الفكري، إذ إننا نجد الغزالي نفسه يشير بوضوح إلى هذا الانتماء الفكري وأهم خصائصه وقسماته، وذلك بقوله: «المدرسة التي أعتبر نفسي رائداً فيها أو ممهّداً لها تقوم على الاستفادة التامة من جميع الاتجاهات الفكرية والمذاهب الفقهية في التاريخ الإسلامي، كما ترى الاستفادة من كشوف الفلسفة الإنسانية في علوم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتاريخ ومزج هذا كله بالفقه الصحيح للكتاب والسُّنة.. إن الرؤية الصحيحة لأحكام الشريعة أو الحكم الصائب الذي ينبغي تقريره لا يتم إلاّ مع رحابة الأفق ووجود خلفية عظيمة من المعرفة القديمة والحديثة على السواء»[٥].

وليس من شك أن هذه الكلمة لها دلالتها العميقة في حسم التحديد الدقيق لموقع الغزالي الفكري، وهي وإن كانت في توصيفها تنطبق على الخطوط العريضة والمحاور الرئيسة لمشروع الغزالي الفكري، إلاّ أنها أيضاً - فيما أحسب - تنطوي على إشارة تميّز موقع الغزالي الفكري داخل هذا الاتجاه أو الإطار المرن المنسوب للمدرسة التي ذكرنا بعض مميزاتها، وهذه حقيقة لا مراء فيها يقف على معناها الصحيح كلّ دارس لمشروع الغزالي الفكري، فقد عرف الفكر الإسلامي المعاصر على يد الشيخ الغزالي دفعاً قوياً، انتقل به من مواقع «النخبة» إلى «اهتمامات» معظم المستويات في الأمة، وتجاوز بخلفيته النقدية الواعية المستوعبة مرحلة الأوهام والشعارات والحلول الجاهزة في الخيال، إلى أفق آخر أساسه الأول المعايشة الواقعية لمشكلات الأمة المختلفة، ومواجهة التحديات الكثيرة والمتناقضة التي ما فتئت تحول دون تحقيق الانعتاق الكامل وتجسيد طموحات وأهداف الأمة الإسلامية في الواقع القائم في دنيا الناس فعلاً لا وهماً وحقيقة لا خيالاً.■

• الغزالي في شبابه

ينعى فهم الحَرْفيين والنصوصيين للإسلام وتراثه ممن يقدسون القوالب التاريخية

المنهج الفكري للغزالي امتداد لروّاد مدرسة التجديد مثل محمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا

الهوامش

(١) محمد الغزالي، حصاد الغرور، دار الثقافة، الدوحة، ط ٣، ١٩٨٥م، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٢) محمد الغزالي، مجلة الدعوة السعودية العدد (١١٨١) الصادر في ٢٤ رجب ١٤٠٩ هـ، ص ٢٨ - ٢٩.

(٣) محمد عمارة، الشيخ محمد الغزالي: الموقع الفكري والمعارك الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ١، ١٩٩٢م، ص ٤٠ - ٤١.

(٤) محمد الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، دار الكتب، الجزائر، ط١، ١٩٨٨ م، ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٥) حوار مع الشيخ محمد الغزالي، إعداد دار المختار الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٩٩٦ م، ص ٥٨.

مشروع إحياء قرية

(مشاريع تنموية)

جمهورية ألبانيا
1438 هـ - 2017 م

أهمية المشروع

مشروع «إحياء قرية» من المشاريع المهمة التي تحتاجها قرى ومناطق ألبانيا، حيث يساهم المشروع في تحسين المستوى المعيشي لسكان القرى الفقيرة والتي تعمل في الزراعة، إضافة إلى تخفيف موجة الهجرة التي أصابت هذه المناطق بسبب الأزمة الاقتصادية التي تعيشها دول البلقان عموماً، وألبانيا خصوصاً. ولهذا المشروع أهمية في تقوية رابطة الأخوة بين الشعوب الإسلامية في الدول العربية والشعب الألباني المسلم.

المشروع	التكلفة	العدد	الإجمالي د.ك
جرار يدوي صغير	500	7	3500
بقرة حلوب	400	10	4000
تربية الغنم	40	100	4000
ماكينة خياطة	160	5	800
أجهزة منزلية / تدفئة	120	50	6000
مزرعة فواكه/ خضار	1300	9	11700

إجمالي تكلفة المشروع

30000

د.ك

حولي ، السالمية ، سلوى ، الفيحاء ، الروضة ، صباح السالم ، القرين ، الصباحية ، الفحيحيل
لولوهايبر الضجيج ، صباح الناصر ، الأندلس ، الصليبيخات ، القصر ، سعد العبدالله

1 888 808

khaironline.net @khaironline

الشيخ المجاهد محمد محمود الصواف (٣)

تاريخه الحركي العراقي

شهد عام ١٩٤٦م تخرج الشاب محمد محمود الصواف حاصلاً على شهادة العالمية (الماجستير) تخصص قضاء شرعي من الأزهر الشريف، وهو أول طالب علم شرعي عراقي ينالها، وقامت مجلة «الإخوان المسلمون» بالكتابة عن الشاب الصواف تحت عنوان «نجاح أخ كريم».

منتصر الصواف

قامت مجلة «الإخوان المسلمون» بتهنئة الصواف قائلة: «يسر قسم الاتصال بالعالم الإسلامي بالمركز العام للإخوان المسلمين أن يزف التهنئة الحارة الخالصة إلى أحد أعضائه العاملين الأخ الكريم الأستاذ محمد محمود الصواف رئيس البعثة العراقية بالأزهر، وقد كان نجاحه نجاحاً ممتازاً في الشهادة العالمية بكلية الشريعة وهو أول عراقي ينالها، ومما يزيد فخراً ويلهج فؤاد الأخ شكراً أنه أول سباق إلى اجتياز مرحلة الدراسة لهذه الشهادة في سنتين رغم أن مدتها أربع سنوات، وقد أثنى مجلس الأزهر على كفايته العلمية وهمته الدائبة».

وكذلك نشرت إحدى مجلات الجماعة المصرية مقالاً لتهنئة الشاب الصواف على نجاحه المتميز بعنوان «عبقرية عراقي».

وقبيل عودة الشاب الصواف إلى العراق كان على موعد مع بعثة البنا التي عادت أدراجها إلى القاهرة لعدم نجاحها في تأسيس الجماعة العراقية، على الرغم من كل قابليتها ونشاطاتها وسط الطلاب في بغداد وتكوينها أسرة كان فيها إحسان شيرزاد، وعبدالوهاب الحاج حسن، وعبدالله الحاج سليم من أربيل، وعدنان رانية، وتحسين عبدالقادر من بغداد، ونافع حمودات، وحامد حسين، وتوفيق الوتاري من الموصل.

كانت اجتماعات هذه الأسرة تعقد في بيت عدنان رانية، أو بيت الملا معتوق في محلة السفينة بالأعظمية، وكان حسين كمال الدين هو الذي يتولى إدارة هذه الأسرة ويساعده في عمله هذا محمد عبدالحميد أحمد.

تقرير وتحدّ

حين عادت البعثة لمصر قدم محمد عبدالحميد أحمد تقريراً ميدانياً أمام البنا في اجتماع بالمركز العام بالقاهرة قال فيه: «من المحال أن تقوم للإخوان دعوة في العراق، وإنه ليس مقراً للدعوة ولا يصلح لها بسبب الفساد الذي استشرى والإلحاد الذي انتشر والشيوعية التي أخذت زمام الشباب».

وأكد أنه خلال أربع سنوات من انتدابه في العراق - فقد عمل منفرداً في نشر الدعوة بين بغداد والبصرة منذ عام ١٩٤٣م إلى حين اندماجه بالبعثة - لم يستطع التأثير إلا في شخص واحد اسمه أحمد الجواري.

وبعد أن انتهى من كلمته، انبرى له الشاب الصواف فاحتج بشدة على محمد عبدالحميد أحمد واتهمه بالعجز والتقصير، وأنه لم يستطع التعامل مع الواقع العراقي فخطب قائلاً: «يؤسفني أن أسمع هذا الكلام من رجل داعية ييأس من بلد مسلم فيه الملايين من المسلمين وله تاريخ حضاري قديم وأنجب العلماء والفطاحل والأدباء والأئمة، بلد الإمامين الكبيرين أحمد بن حنبل، وأبي حنيفة النعمان رضي الله عنهما.

وإن شاء الله تعالى سترى الدعوة في كل بيت وفي كل قرية وفي كل مدينة، وقد رفعت أعلامها في العراق، وسترى شباب العراق مع شباب مصر ومع شباب العالم الإسلامي وجهاً لوجه ويداً بيد وقلباً بقلب».

وكانت الهتافات تعلو وتؤيد الشاب الصواف فيما يقول.

ثم قال الشاب الصواف: «إنني أعاهد الإمام على أن أجعل من العراق ميداناً معطاء للدعوة».

إلا أن بعض إخوان المركز العام كانوا يرون في كلام الشاب الصواف نوعاً من طموح الشباب المبالغ فيه كون مقدم التقرير عضو هيئة تأسيسية

ومتمرساً قديماً، ولكن الشاب الصواف أثبت لهم العكس تماماً بعد عودته لوطنه.

عودته إلى العراق

مثلت عودة الصواف حاملاً العلم الأزهري والفكر الإخواني إلى بلده دافعاً قوياً للاجتماع مع أقرانه مثل عبدالرحمن السيد محمود، وعبدالرحمن الأرحيم، وغيرهما في الموصل، لمفاتحتهم لغرض تأسيس الجماعة العراقية، فواجهه خلاف حول التسمية، فقال لإخوانه لما رأى بوادر الخلاف بينهم: «إن الأسماء لا تهمنا، نحن نريد أن نحمل فكرة».

وبعد ذلك سافر الصواف إلى مصر لاستكمال وثائق تخرجه في الأزهر مع ذلك الأخ الذي كان يصر على أن يجعلها باسم «الإخوان»، فارتأى الصواف تحكيم المرشد لحسم الخلاف، فقال للإخوة المختلفين: «سيروا مع الشيخ الصواف، فهذا هو الصحيح؛ لأننا لا تهمنا الأسماء وإنما تهمنا الدعوة الإسلامية ويهمنا الإسلام نفسه بأي اسم كان، وبأي ثوب خرج مادام مع الله ومع مبادئ الإسلام الصحيحة».

وقد مثلت عودة الصواف من مصر بداية الحراك الإسلامي في العراق، فمع ما بذله الإخوة المصريون، فإن العمل التنظيمي لم يخرج من قالبه المبعثر إلا بعودة الصواف من مصر إلى الموصل ثم التحاقه بكلية الشريعة في بغداد مدرساً عام ١٩٤٦م.

فبدأت دعوة الأستاذ الصواف في أروقة كلية الشريعة بالأعظمية، فتشكلت على يديه أول أسرة دعوية ضمت طلابه، وهم كل من نعمان السامرائي، وإبراهيم المدرس من بغداد، ويوسف العظم من الأردن، وعبدالله العقيل من البصرة، وعبدالحافظ سليمان، ومحمد ياسين من الموصل، وكان الأستاذ الصواف هو نقيب الأسرة التربوية.

المرشد الروحي

التقى الصواف بعد ذلك بالشيخ العلامة أمجد الزهاوي أبرز العلماء المجتهدين في زمانه، وكان الشيخ الزهاوي فقيهاً تقليدياً تقياً جداً، وأصبح بدوره مرشداً روحياً للجماعة العراقية الجديدة فيما بعد.

انتسب الأستاذ الصواف إلى جمعية الآداب الإسلامية حيث كان الشيخ الزهاوي رئيسها، فحرك الصواف جل الشباب بالجمعية للعمل الدعوي في بغداد.

ولكن البعض من مسؤولي الجمعية قاموا باندفاعات غوغائية فضاقوا ذرعاً بالشيخ الزهاوي، والأستاذ الصواف بإدخالهم عناصر مندسة غير منتسبة فنسبوها للجمعية، وأجروا انتخابات الهيئة الإدارية وأسقطوا الأستاذ الصواف فآثرا بعدها الانسحاب.

وكان السبب الأساسي أن بعض أولئك المسؤولين مثل كمال الدين الطائي، وإسماعيل الراشد وغيرهما، عندهم نزعة قومية، وكانوا يتكلمون في مجالسهم على الصواف وينتقدونه، والسبب الآخر الذي أثارهم هو التفاف الشباب المسلم حول الشيخ الزهاوي والأستاذ الصواف فشاكسوا خطهما الإسلامي الخالص.

بعد انسحاب الشيخ الزهاوي والأستاذ الصواف ومعهما شباب الدعوة الجدد من جمعية الآداب، فتح الشيخ الزهاوي مدرسته الشرعية «المدرسة السليمانية» بالقشلة كمقر للدعوة الجديدة، فكانت الاجتماعات تعقد فيها؛ حيث كان الشيخ الزهاوي يلقي على الشباب درساً في العقيدة والفقه، ويلقي الأستاذ الصواف درساً في الدعوة، فضلاً عن اجتماع أسبوعي يعقد في جامع الملك غازي مقابل القشلة (دار السراي المعروفة في وسط بغداد).

ارتأى الصواف تقديم طلب لإجازة جمعية إخوانية مع تغيير التسمية؛ فرفضت الوزارة الطلب في نفس السنة، لكنه استمر في التحرك بالدعوة والتجميع، يعاضده الشيخ الزهاوي في مدرسته، وهكذا أخذت الدعوة بالعراق إطارها انطلاقاً من مقرها الجديد.

الحركة الدعوية

غدت الحركة الدعوية الإسلامية المتصاعدة بقيادة الصواف أقوى وسيلة لاستئصال روح ضيق الأفق الهزيلة في نفسية المجتمع العراقي، الذي كان يعاني الفقر والأمية والجهالة المطبقة بحقائق الإسلام، الذي سببه الدور الخطير الذي مارسه الاحتلال البريطاني في دعمه للغزو الفكري من خلال الفلسفات والنظريات المادية الغربية كالداروينية والفرويدية والماركسية وغيرها.

والسبب الآخر في نشره للفساد الاجتماعي في أغلب المدن العراقية، وكان أصحاب القرار السياسي من خلال تأثرهم بالرذائل أثناء دراستهم في إسطنبول في ظل حكم حزب الاتحاد والترقي العلماني، شجعوا ذلك الفساد الاجتماعي من خلال عمالتهم لسلطة الاحتلال البريطاني المنتدبة.

أول طالب عراقي يحصل على «العالمية» تخصص قضاء شرعي من الأزهر

العمل التنظيمي بالعراق لم يخرج من حاله المبعثرة إلا بعودة الصواف من مصر إلى الموصل

بدأت دعوة الصواف في أروقة كلية الشريعة بالأعظمية فتشكلت على يديه أول أسرة دعوية

الحركة الدعوية المتصاعدة غدت أقوى وسيلة لعلاج أدواء المجتمع العراقي النفسية

حرّكت دعوة الصواف وخطبه الحماسية في جوامع ومساجد وجمعيات بغداد والموصل والبصرة وغيرها من الألوية (المحافظات) فيما بعد شعلة التعطش للعمل الدعوي والجهادي؛ فكان الأنصار الأوائل من طلاب الصواف المنضوين تحت جناح الدعوة أصحاب وفاء لا متناهٍ للمبادئ التي التهبت من جديد بالساحة الإسلامية في العراق.■

كيف أحمي أولادي من «الشذوذ الجنسي»؟(١)

أ.د. يحيى عثمان

يمكنك إرسال استشارتك على أحد العنوانين البريدين التاليين:
info@mugtama.com
yɜthman١@hotmail.com

أستاذي الكريم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أنا رب أسرة، ولله الحمد رزقنا الله بولد وبنت أتما العاشرة من عمرهما منذ شهر، كل أمورنا ولله الحمد طيبة، لكن ما يؤرقني هو خوفي عليهما، وحقيقة ما زاد خوفي أو بمعنى أدق جعله يتمحور حول - أعوذ بالله - الشذوذ، خاصة مع هجمات الانحلال، وتجرؤ نفر من السفلة المتشبهين والمتشبهات بالعلانية عن أنفسهم بجرأة لم تعهدها ديرتنا، ويشجعهم على ذلك طبعاً المنظمات العالمية المشبوهة تحت دعوى الحرية الشخصية، والترويج بأن ذلك السلوك - الشائن الذي حرمته كل الشرائع الدينية وقيم الفترة السوية - غير إرادي وأنه نتيجة جينات لا ذنب لفاعله فيه، وأن بعض الحيوانات تمارسه في الطبيعة، وأننا بذلك نظلم هذا الشاذ.

وكما تعلم فقد أصبح الإنترنت في كل بيت وعلى كل هاتف نقال، ولقد اشترطت عليهما ألا يضعا كلمة سر على هاتفيهما حتى أتمكن من الاطلاع عليهما.

كيف أحميهما من هذا الوباء؟

جزاكم الله خيراً؟

أخوكم أبو أحمد

الحل

أولاً: تعريف الشذوذ الجنسي:

هو علاقة بين نفس النوع من الجنس، وهنا يجب التفريق بين الخنثى، وهو ما يولد وبه أعضاء ذكرية وأنثوية، وقد يكون إحداها غير مكتمل أو كلاهما، وقد تناوله علماء الفقه بالتفصيل، وبين أن يكون الإنسان من الناحية التشريحية طبيعياً، ولكنه يمارس الشذوذ.

ثانياً: الشاذ ليس مريضاً نفسياً بل منحط أخلاقياً:

يدعي مروجو الشذوذ اكتشاف جين الشذوذ الجنسي (Gay Gene)، ويمثل هذا الادعاء أحد المرتكزات الرئيسة التي يقوم عليها الخطاب الإلحادي الذي يروّج بأن الشذوذ لا علاقة له بالأخلاق أو الأمراض العضوية أو النفسية، وإنما هو خيار طبيعي موروث في الحمض النووي البشري (Human DNA)، ولا يمكن إزالته منه، فضلاً عن عقابه بسببها كما تدعو إلى ذلك الأديان السماوية.

يؤكد الكاتبان العلميّان الأخوان نيل وايتهيد، وبريار وايتهيد في كتابهما «جيناتي جعلتني أفعلها!»، حيث يقولان في مقدّمته: «إن الغرب كان موضوعاً لحملة من التضليل والخداع في السنوات العشرين أو الثلاثين الأخيرة، جعلت مؤسساته العامة من المشرّعين إلى القضاة ومن الكنائس إلى التخصّصات الذهنية الصحيّة يؤمنون بشكل واسع أن المثلية الجنسية موروثة عضوياً؛ وبالتالي لا يمكن تغييرها»، وهو الرأي الذي يتفق فيه المحلّل الإعلامي «مارك دايس» معهما قائلاً: إن «الإعلام الليبرالي أجرى عملية غسيل مخ من خلال «بروباجندا» المثليين الجنسيين حتى يقنع الأمريكيين بارتفاع نسب الشذوذ الجنسي».

كما أجرى فريق من الباحثين بجامعة «نورث ويستيرن» الأمريكية دراسة علمية عام ٢٠١٤م شملت فحص الحمض النووي لـ٤٠٠ ذكر من المثليين الجنسيين، لم يتمكّن الباحثون من العثور على جين واحد مسؤول عن توجههم الجنسي، وقالوا: إن «الجينات كانت إمّا غير كافية، وإمّا غير ضرورية لجعل أي من الرجال شاذاً جنسياً».

إذن؛ علمياً لا يوجد جين مسؤول عن الشذوذ، ولكنها مجرد تضليل إعلامي من جمعيات الشواذ لتبرير انحطاطهم.

ورغم قيمة وأهمية هذه الأبحاث التي تسقط دعوى تبرير الشذوذ فإننا نحن المسلمين لنا في ديننا الكفاية والقناعة الإيمانية، بأن الشاذ مسؤول عن شذوذه ما دام الشرع قد حرمه، وكفى.

فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضِيَ اللَّه عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ» (أخرجه الترمذي، وصححه الألباني).

ثالثاً: أسباب الشذوذ الجنسي:

١- أخطاء التنشئة:

تلجأ بعض الأمهات بجهالة إلى تنشئة الطفل ومعاملته بغير جنسه، مثال على ذلك أن يشاء الله أن تكون الأم كل خلفتها ذكوراً، وتتمنى بنتاً، فعندما يرزقها الله بذكر آخر، تُطلق عليه لفظاً أنثوياً وتلبسه ملابس بنات، على سبيل المزاح، وقد تستمر هذه الجريمة حتى دخوله المرحلة الابتدائية.

هنا يجب التفريق بين نوع جنس (Sex) ذكراً أو أنثى وهو ما تُظهره أعضاؤه الجنسية، وما يُعرف بالهوية الجنسية (Gender)، وهي الصور الذهنية الجنسية عن الذات، التي تتكون مع اللبنات الأولى لحياة الإنسان ثم تنمو معه وتستكمل ما بين الثانية والثالثة من عمره،

هناك ادعاء خاطئ بأن الشذوذ لا علاقة له بالأخلاق والأمراض العضوية والنفسية وإنما هو خيار جيني موروث

علمياً لا يوجد جين مسؤول عن الشذوذ لكنها مجرد تضليلات إعلامية من جمعيات الشواذ

التعبير عن حب الأبناء يساهم في نموهم الطبيعي ويجعلهم أسوياء في تعاملهم مع الآخرين

حيث يدرك الطفل نوعه الجنسي ويعرف نوع جنس من يتعامل معه، ثم في مرحلة الصبا (٦ - ١٠) يحاول التعرف واكتشاف الفروقات بين جنسه والجنس الآخر.

إن اختلاف الهوية الجنسية عن الجنس تُحدث خللاً لدى الطفل وتجعله يتصرف طبقاً لهويته الجنسية وليس طبقاً لجنسه، حتى لو بدأت الأم مع مرحلة الصبا تعامله طبيعياً بناء على جنسه، سيرفض الطفل ظاهرياً ذلك حتى وإن أبدى استجابة فسيظل داخله نوع الجنس الذي عرف نفسه به.

من المؤكد أن هذا الولد أو البنت عرضة للشذوذ بنسبة عالية جداً ما لم يخضع لبرنامج نفسي ورعاية خاصة قبل مرحلة البلوغ.

٢- فطرة البحث واكتشاف المجهول:

في مرحلة الصبا يبدأ الطفل في التعرف على أعضائه الجنسية، وإن لم تكن هناك الرعاية الكافية، فقد يحاول الأطفال التقارب الجسدي معاً، ومن الطبيعي أن تحدث استثارة ما، وقد يؤدي هذا اللهو الجنسي إذا ما تكرر إلى تكوين صورة ذهنية للدور الذي يمارسه الطفل في العلاقة، ويتوقف ذلك على مدى تكرار هذا العبث، والذي قد يعتاده.

٣- تعرض الطفل للاعتداء:

يجب كل الحذر من ترك الطفل مع من هم أكبر منه مهما بدا عليهم من أمارات الثقة، فإن الحدث الجنسي يرسخ في عقلية الطفل، في بداية يصاب الطفل بالصدمة والهلع، ثم يبدأ في اعتياد الأمر فيما بعد، خاصة إذا استمرت لفترة طويلة ومع مرور الوقت تبدأ سلوكياته الجنسية تميل إلى الشذوذ الذي يتعرض له، حتى إذا لم يتكرر الاعتداء على الطفل، فإنه يكون عرضة للشذوذ - إن لم يعالج - حيث تتشكل طبيعته الجنسية تبعاً لأول تجربة جنسية له، ومع الوقت ووصوله لسن البلوغ يكون متهيئاً نفسياً للشذوذ ويفقد قدرته على التمتع بأي شكل آخر من العلاقات الجنسية الطبيعية.

٤- عدم شمل الأسرة:

إن التربية المتوازنة تقتضي وجود الزوجين معاً، وغياب أحدهما يعطي خللاً لمفهوم علاقة الطفل بنوعية جنس من يعيش معه من والديه، تطرح إحدى الدراسات أن غياب الأب أو الأم يجعل نسبة الاتجاه إلى المثلية أكثر بنسبة ٢٠٪.

٥- عدم الإشباع الوجداني:

يساهم التعبير عن حب الأبناء وارتوائهم وجدانياً في نموهم الطبيعي، ويجعلهم أسوياء في تعاملهم مع الآخرين دون ميل أو نفور، يجب أن يشبع الأبناء من التعبير عن حب والديهم، من خلال النظرات التي تشع حباً وتقديراً، واللمسات والأحضان والقبلات، التي تشعر الابن بقيمته عند والديه، وتجعله مكتفياً بحبهما عما قد يتعرض له من تحرشات.

٦- ضعف الثقة:

من أهم ما يجب أن يحرص عليه الوالدان بناء ثقة الطفل في نفسه التي تجعله قادراً مهما كان صغيراً من إبداء المقاومة - حتى بالصراخ - ولا يخنع، مما يمثل تهديداً للمعتدي الذي يتميز بالجبن من افتضاح أمره، وكذلك ثقة الطفل في والديه تجعله لا يخاف من إخبارهما بما حدث له، تُبنى الثقة بالرعاية والاهتمام، حيث يجب التركيز على التعبير عن قيمة الطفل ذاته، مهما كان إنجازه الدراسي ضعيفاً، أو كونه مشاغباً، هذا يجب ألا ينعكس على علاقتنا النفسية بأبنائنا.

في دراسة اعترف ٨٤٪ من المثليين الذكور أن والدهم كان غير مكترث وغير مبالٍ بهم في صغرهم مقابل ١٠٪ فقط للغيريين (أي الذين يمارسون الجنس مع الجنس المغاير).

٧- عدم التربية الجنسية:

من المهم جداً التربية الجنسية للأبناء، بما يتناسب مع إدراكاتهم، فهي تهدف إلى المعرفة التي تولد لديه المحاذير سواء في التعامل مع نفسه أو الآخر، تبدأ التربية الجنسية بتعريف الطفل بجنسه «أنت رجل شجاع»، «أنت بنت جميلة»، بحيث يتمكن من تمييز أفراد عائلته بناء على نوع جنسهم، ثم كل المتعاملين معه، ومن ثم يعرف لمن ينتمي من حيث النوع، ثم الحياء من أن يتعرى أمام الآخرين (يمكن لك بل يجب الرجوع إلى كتب وبرامج التربية الجنسية والمكتبة العربية بها الكثير).

٨- البيئة المنفلتة:

للأسف بعض الآباء والأمهات لا يأخذون حذرهم عند استبدال ملابسهم، أو في علاقاتهم، معتقدين أن الطفل في عمر سنتين لا يدرك ما يرى! وهذا خطأ فاحش، نعم هو لا يدرك ما يراه ولكن ذاكرته قد اختزنته، ويظل السؤال يلح عليه: ماذا رأيت؟ وقد تدفعه غريزة التقليد إلى محاكاة ما رأى.

٩- عدم التوازن في العلاقة مع الجنسين:

رغم قيمة وأهمية التربية المحافظة، التي تحرص على الفصل بين الجنسين، فإن المبالغة تجعل الطفل ينكفئ على

٨٤٪ من المثليين الذكور اعترفوا أن والدهم كان غير مكترث بهم في صغرهم

يجب أن ينمو الابن في محضن ذكوري فيصحبه الوالد في جلساته أو رحلاته أو رياضته وكذلك الفتاة مع أمها

جنسه، ويصعب عليه في مرحلة المراهقة الخيال الجنسي الطبيعي، فيكون عرضة للأفكار الشاذة، من الطبيعي أن يحتلم، وكيف يحتلم الفتى أو الفتاة احتلاماً طبيعياً وهو سجين جنسه؟ إن الاختلاط الشرعي للفتاة أو الفتى يساعد على النمو الوجداني والجنسي في مساره الطبيعي، هذه ليست دعوة للتحلل وترك الأولاد في سن المراهقة لإقامة علاقات على هواهم، ولكن المقصود هو الاعتدال، بمعنى لا حرج عند اللقاءات العائلية أو مع الجيران أن يكون هناك اختلاط طبقاً للضوابط الشرعية، وفي المقابل يجب أن ينمو الابن في محضن ذكوري، فيصحبه الوالد في جلساته أو رحلاته أو رياضته، وكذلك الفتاة مع أمها، إن تنشئة الأطفال في بيئة متوازنة تضمن لهم صحة نفسية وجنسية سوية.

١٠- تردي الثقافة:

للأسف انقاد أولياء الباطل ممن ينتمون إلى جلدتنا إلى دعوى التحلل العالمي، وأصبحت ثقافة العهر والتحلل الأخلاقي بل والقيمي يروج لها بدعوى الحرية الشخصية، ومع انتشار الإنترنت أصبح من المستحيل عزل أبنائنا عن هذا الخطر الداهم؛ لذا يجب مراجعة وتصحيح ما قد يعلق بأذهان أبنائنا من هذا الوباء، يجب أن يحرص الوالدان سواء من خلال الملاحظة المستمرة أو من خلال جلسات الدردشة والحوار على الانفتاح النفسي ومن ثم الذهني والتعرف على ما يدور داخلهم والتساؤلات التي تعن عليهم.

١١- عدم شغل أوقات الأولاد:

إن الفراغ أحد الأسباب الداعية لعبث الأولاد، لذا يجب أن يحرص الآباء على شغل أوقات أبنائهم بحيث يذهبون إلى الفراش وقد نفدت طاقاتهم، فيوجه الأبناء كلهم لتنمية بنيتهم الجسدية والفنون القتالية بما يكسبهم ثقة الدفاع عن أنفسهم، ثم ما يفضلونه من هوايات.

١٢- سوء الصحبة:

حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «المرء على دين خليله، فينظر أحكم من يخالل»، لذا من المهم التعرف على صحبة أبنائنا، وليتنا نتعرف على عائلاتهم حتى نتعرف على ما يمكن أن يدور بينهم من أحاديث.

١٣- الاضطراب الأسري:

الأسرة هي المحضن الذي يتغذى منه الأبناء منظومة القيم والأخلاق، ويتم ذلك مع الرشفات الأولى من ثدي الأم، بل إن العلماء منذ أكثر من ثلاثة عقود قد تكلموا على أهمية الحالة النفسية للجنين! في دراسة خاصة بتحليل شذوذ المراهقين، ترجع ذلك بنسبة ٩٠٪ للأثر السلبي لانهيار منظومة الأسرة.

١٤- إهمال التربية الدينية:

قد يستغرب القارئ الكريم كيف تأتي التربية الدينية آخر أسباب الشذوذ!

أولاً: عندما أتحدث عن التربية الدينية لا أقصد فقط تعليم الأبناء أداء المناسك، الصلاة مثلاً، بل أقصد أن يتعلم في مرحلة التقليد معنى الصلاة، وما يجب أن يكون عليه المصلي، وعندما يصل إلى المرحلة التي يفهم فيها معنى «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»، لا نلقنه بل نولد لديه القناعة بما تهدف إليه الصلاة.

ثانياً: رغم قيمة وأهمية القناعات الدينية فإنها لا تستكمل تقريباً، ولا يمكن أن يستوعبها الأبناء إلا مع مرحلة البلوغ، وبعد أن تكون العوامل الأخرى قد أثرت، فإن كان تأثيرها سلباً - فنسأل الله العفو والعافية - فيكون من الصعب وليس من المستحيل العلاج، أما إذا كانت إيجابية التأثير فإن القناعة الدينية تؤصلها وتعمق رسوخها.■

مقال

بقلم: د. يوسف السند

المعايير الإيمانية والتربوية للمؤسسة الربانية (١)

التقوى

إن الحكماء والعقلاء من عباد الله المؤمنين الموحدين الصادقين والمخلصين ليتطلعون إلى مؤسستهم الخيرية والدعوية أن تكون هي الرائدة في وطنهم بل وفي العالم من حولهم؛ لأنهم دعاة رحمة وبناء وسلام وإحسان؛ ولذا كان لزاماً عليهم أن يتفقوا على معايير وسمات وأهداف تكون في نظامهم التأسيسي، وبالتالي في لوائحهم وأنظمتهم ورؤاهم ورسالتهم وأهدافهم وقيمهم ووسائلهم.

بهذه المنظومة من المعايير الواضحة تنطلق المؤسسة الربانية ببناء رباني على تقوى من الله ورضوان (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ) (التوبة).

هذه التقوى تبدأ عبر حساسية إيمانية بضرورة عمل الخير والمسارعة إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، إتقان في العمل، وتميز في الإنتاج وجودة وإحسان مشوب بتواضع جم وتضرع إلى المولى سبحانه وتعالى بالقبول، وشفافية شعور بمراقبة الله تعالى بالأقوال والأفعال والنيات؛ «فتكون النية الصالحة نفسٌ تضيء وهمة تتوقد، والنفس المضيئة كناية عن النفس التي احتوت نية صافية، فهي تنير بما يكون لها من هذا الصفاء، وهي النية الحرة.. حرة مما يقيد غيرها، من الأهواء والأطماع والمصالح، ولم يستعبدها درهم ولا دينار ولا جمال أنثى، ولم تكن رقيقاً لمنصب أو شهوة.

فالداعية لا يصدر قط عن شهوة، ولا طلب مصلحة، وإنما له في كل حركة وسكنة تطلعات إلى الأجر، وكذلك الصالحون.

وبهذا الوصف وصف هشام بن عبدالملك ابن عمه عمر بن عبدالعزيز الأموي رحمه الله فقال: «ما أحسب عمر خطا خطوة إلا وله فيها نية».

ولذلك استطاع عمر في أقل من سنتين تقويم اعوجاج جيلين (محمد الراشد، الرقائق باختصار).

إن لبنة التقوى في المؤسسة لهي اللبنة الأولى التي يقوم عليها البناء السامق الرفيع الذي يؤتي أكله كل حين بإذن ربه؛ حتى تتمثل التقوى في كل ركن وزاوية أو مشروع أو لائحة أو صرف ونفقة أو قرار وكلمة.

تتمثل التقوى بالخشية المستمرة والحذر الدائم من مخالفة شرعية تعطل الأعمال وتقوّض البناء وتضيع وتنسف الإنجاز!

إن تقوى الله تعالى في المؤسسة ركن عظيم للنجاح والتميز.

واتق الله فتقوى الله ما جاورَتْ قلبَ امرئ إلا وصل
ليس من يقطع طرقاً بطلاً إنما من يتقي الله البطل

تتمثل التقوى في العمل المؤسسي:

- الانضباط في الدوام والعمل بموجب العقد (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) (المائدة: ١).
- التزام ما ألزمت به نفسك من سلوك طيب وخلق حسن.
- إحسان وإتقان العمل.
- العمل بروح الفريق الواحد تعاوناً على البر والتقوى.
- المحافظة على خصوصيات المؤسسة.
- اعتبار المنصب اختباراً وامتحاناً من الله تعالى لعمل صالح يقربك من الله تعالى فكن حفيظاً عليماً؛ (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾) (يوسف).
- الارتقاء بالعمل مهنياً واحترافياً حتى يعم الخير وينتشر الإصلاح.
- التطوير الذاتي والتحمل في ذلك مثل كليم الله موسى عليه السلام وقد رحل إلى الخضر طالباً للعلم والمعرفة وتحدى الصعاب (حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً ﴿٦٠﴾) (الكهف).

إننا بتقوى الله أولاً ثم بالعمل المؤسسي الجاد المتميز بمعاييره وقيمه ندخل بوابة الحياة عبر نظرية القيادة الإيمانية للحياة بمنهجية تربوية رصينة حكيمة معتدلة متصدين لقدر الشر بقدر الخير.

إن سر معركة الحياة هو بطاعة الله سبحانه، ويفوض المؤمن أمره إلى الله تعالى فيهديه السبيل ويمهد له الأمور ويكنس من أمامه العُتاة كما كنسهم يوم «بُعاث» قُبيل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وكان يوماً عصيباً سالت فيه الدماء وقتل عتاة الأوس والخزرج، وبقي منهم عبدالله بن أُبي بن سلول ليعطينا مثلاً على أن العشرات مثله كانوا سيقولون مثل قوله ويكيدون للنبي صلى الله عليه وسلم لو لبثوا على الحياة، ولكن الله أزاحهم من طريق المؤمنين.

وكم من أحزاب جاهلية اليوم في بلاد شتى تولى الله حربها حتى ضعفت وأصبح المجال مفتوحاً أمام الدعوة في تلك البلاد لتدخل الدعوة مرحلتها المتقدمة (محمد الراشد، صناعة الحياة).

والحمد لله رب العالمين.■

الأخيرة

بقلم:
محمد سالم الراشد

نحو حكومة برلمانية «تكنوقراط» مشتركة

أدت نتائج الاستجواب البرلماني الذي قدمه النائبان عبدالكريم الكندري، ورياض العدساني، لوزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء وزير الإعلام بالوكالة، الشيخ محمد عبدالله المبارك الصباح، إلى حالة من الذهول السياسي لسببين؛ أن حالة الحكومة وتشكيلها الحالي كانت غير متماسكة وتدعو إلى الشفقة، والسبب الآخر هو التسارع في تأييد طرح الثقة حتى من نواب يعتبرون سنداً للحكومة الكويتية.

لقد وصلت الإدارة الحكومية في إدارة البلد إلى مستوى من الإفراط في الترهل والتسويف وتفشي الفساد الإداري والمالي وعدم حل الأزمات من الجذور، وها هي الإدارة الحكومية تعيش أسوأ مراحلها، إذ فقدت العمل الجماعي والرؤية المشتركة والقدرة على إدارة الأزمات وحل المشكلات المعقدة، بالرغم من أن الوقت كان لصالح الحكومة، حيث أدت التفاهمات التي تمت بين نواب المعارضة والحكومة إلى فترة هدوء تُمكّن الحكومة من القيام بدورها المفترض أن تقوم به، ولكن نظراً لتعقيدات إدارة القرار السياسي الحكومي أصبحت الحكومة عاجزة عن تلبية الخطاب الصريح لأمير البلاد في مواجهة التحديات والأخطار التي تحيط بالكويت، وخصوصاً بعد الأزمة الخليجية التي باتت تهدد تماسك الدول الخليجية وبالطبع تهدد الكويت بشكل مباشر.

إن نتائج الشهور الماضية من عمل الحكومة ليؤكد أهمية رحيل هذه الحكومة وإعادة صياغة حكومة جديدة قائمة على تفاهمات مع نواب الأمة في مرحلة تاريخية.

إن تكوين الحكومة القادمة هو تحدّ جديد أمام السلطة والمجلس لإدارة الأزمات المتراكمة منذ عام ٢٠١٢م إلى اليوم، وخصوصاً مع تزايد التحديات الأمنية والخارجية على البلاد.

ولتمكين حكومة قادرة على إدارة البلاد، فإن تشكيلها من أغلبية برلمانية وتطعيمها بوزراء «تكنوقراط» سيكون بداية لحل قائم على التفاهمات الشعبية والحكومية، ولإعطاء رئاسة الحكومة سنداً من السلطة والشعب ممثلاً في المجلس، وتكون تلك التفاهمات قائمة على التوافقات اللازمة لحل المشكلات المعلقة فيما يتعلق بقضايا التجنيس والقيود الأمنية والقضايا المرفوعة على شباب ورجالات الحراك السياسي، وتأسيس توافق حول أهم الملفات والأزمات، منها الملف الأمني والاقتصادي والرياضي.

ولنجاح مثل هذا الاختيار السياسي، فإنه يتوجب على الأطراف جميعاً الاتفاق على ما يلي:

- كيفية اختيار النواب الممثلين للشعب في الحكومة والوزراء «التكنوقراط» بشكل قائم على الكفاءة والقدرة.
- منهج إدارة الحكومة الجديدة في حل الأزمات وإدارة الملفات.
- القضايا الرئيسة التي يجب أن تكون من أولويات برنامج الحكومة الجديدة.
- الملفات المأزومة والاتفاق على إنهائها في مدة زمنية يُتفق عليها.

إن نجاح نواب البلد والحكومة في إيجاد حكومة برلمانية و«تكنوقراط» سيكون أولى مراحل حل الأزمات العالقة في البلاد، بالإضافة إلى منهج جديد حكومي لإدارة البلاد بما يحقق اتجاهاً وطنياً لتنفيذ توجهات الخطاب السامي الذي صدره سمو أمير البلاد يوم الثلاثاء ٢٠١٧/١٠/٢٤م، في افتتاح دور الانعقاد العادي الثاني من الفصل التشريعي الخامس عشر للمجلس.■